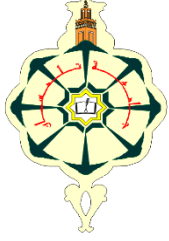


الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد _ تلمسان _

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر 2

تخصص : لسانيات تطبيقية

- بعنوان :

قضية التعلّم والاكتساب عند ابن خلدون

إعداد الطالبتين :

- حابي لطيفة

- حضارة عمارية

لجنة المناقشة:

مشرفا ومقررا

رئيسا

ممتحنا

جامعة تلمسان

جامعة تلمسان

جامعة تلمسان

د. بوعافية الجيلالي

د. موسوني محمد

د. بشيري أحمد

السنة الجامعية: 1446-1447 هـ / 2024-2025 م.

ملخص الدراسة باللغة العربية :

يُعد عبد الرحمن بن خلدون من أبرز المفكرين في الحضارة الإسلامية، ويعتبر من مؤسسي علم الاجتماع الحديث. نشأ في بيئة علمية بتونس، وتنتقل بين بلدان المغرب والأندلس ومصر، وترك أثرًا فكريًا كبيرًا بكتابه "المقدمة"، حيث قدم فيه رؤية تحليلية متقدمة في التاريخ والتربية وعلم الاجتماع. رأى ابن خلدون أن الإنسان كائن مركب من جسد وروح، والعقل عنده يتطور عبر ثلاث مراحل: العقل التمييزي، والعقل التجريبي، والعقل النظري المجرد، مؤكدًا أن للعقل حدودًا لا تتجاوزها خاصة في الأمور الغيبية، ومن أبرز مفاهيمه التربوية "الملكة"، وهي القدرة الراسخة التي تُكتسب بالممارسة والتكرار، وليست مجرد فهم سطحي للعلوم. وقد شدد على أهمية التدرج في التعليم، والاعتماد على المحاكاة والخبرة والحوار، مع مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين. فرّق ابن خلدون بين التعلم النظري والاكتساب العملي، معتبرًا أن المعرفة لا تترسخ إلا بالممارسة، كما وجّه انتقادات حادة لأساليب التعليم في عصره، مثل الحفظ دون فهم، وتعقيد المواد، والإكراه في التعليم، وتبدو نظريته التربوية متقدمة على زمانها، إذ تتقاطع مع بعض النظريات المعاصرة مثل البنائية والتعلم الاجتماعي، وتتميز برؤية شاملة ومتوازنة في فهم العملية التعليمية.

Abstract:

Abd al-Rahman Ibn Khaldun is one of the most prominent thinkers of Islamic civilization and is considered one of the founders of modern sociology. He grew up in a scholarly environment in Tunisia and traveled between the Maghreb, Andalusia, and Egypt. He left a significant intellectual impact with his book "The Muqaddimah," in which he presented advanced analytical insights into history, education, and sociology. Ibn Khaldun viewed human beings as beings composed of body and soul, and that the mind develops through three stages: the discriminating mind, the experimental mind, and the abstract theoretical mind. He emphasized that the mind has limits that it cannot exceed, especially in matters of the unseen. One of his most prominent educational concepts is "the faculty," a deeply rooted ability acquired through practice and repetition, rather than merely a superficial understanding of the sciences. He emphasized the importance of gradual learning, relying on imitation, experience, and dialogue, while taking into account individual differences among learners. Ibn Khaldun distinguished between theoretical learning and practical acquisition, believing that knowledge is only consolidated through practice. He also sharply criticized the teaching methods of his time, such as memorization without understanding, the complexity of material, and coercion in education. His educational theory appears ahead of its time, intersecting with some contemporary theories such as constructivism and social learning, and featuring a comprehensive and balanced vision for understanding the educational process.

شكر وتقدير

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

الشكر لله - عز وجل - الذي أنار لي الدرب، وفتح لي أبواب العلم وأمدني بالصبر والإرادة لإتمام هذه الرسالة، فله الحمد والشكر حمداً طيباً مباركاً يليق بجلاله، ومن باب قول المصطفى صل الله عليه وسلم "لا يشكر الله من لا يشكر الناس".

نتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان إلى الأستاذة الفاضلين المناقشين ، الى الأستاذ المشرف الفاضل الدكتور [بوعافية الجيلالي]، الذي تفضل بالإشراف على هذا العمل.

****لقد كانت توجيهاتك الحكيمة وخبرتك الواسعة بمثابة النور الذي أضاء لنا الطريق ****

إن كلمات الشكر، مهما بلغت من بلاغة، تبقى عاجزة عن التعبير عن مدى امتناننا لك. لقد

كنت دائماً بجانبنا، لم تبخل بوقتك الثمين ولا بجهدك المبارك. كنت صبوراً في إرشادنا، حكيماً

في توجيهنا، ومتفهماً لظروفنا، مما منحنا الثقة للاستمرار في كل خطوة من خطوات

****البحث****

لقد تجاوزت دورك الأكاديمي لتكون مربياً فاضلاً ومعلماً قدوة. غرس فينا قيم البحث العلمي

والدقة في العمل والأمانة في النقل والاقتباس. علمتنا أن العلم رسالة نبيلة تحتاج إلى

****صبر واجتهاد، وأن طريق المعرفة يتطلب من يأخذ بأيدينا وينير لنا الطريق****

ندعو الله العليّ التقدير أن يجزيك خير الجزاء، وأن يبارك في علمك وعمرِك وصحتك. نسأل

الله أن يوفقنا لنكون على قدر الثقة التي وضعتها فينا، وأن نسير على نهجك في خدمة

**** العلم والمعرفة ****

وفي الختام، نؤكد أن هذا العمل المتواضع ما كان ليبرى النور لولا فضل الله أولاً، ثم بركة

دعاء الوالدين، وتوجيهاتك السديدة، التي ستبقى مثلاً يحتذى به في عقولنا وقلوبنا

**** فلك منا كل الشكر والتقدير والاحترام ****

إهداء

أهدي ثمرة جهدي وسهرى إلى :

من أضاءوا دربي بالعلم والحكمة...

ومن رافقوني بالدعاء والمحبة...

إلى الأرواح الطاهرة التي غيبها القدر ولم تغادرنا

والى كل من يسعدهم نجـاحي.

حاي لطيفة

إهداء

الى التي تعيش عمرا لا لأبنائها

الى من لا ملجأ سواها حين تسوء الأيام و تنقسم الحياة، ولا قصر اجمل من حضنها حين ترقص
لحظات عمرنا

الى رمز الحب اليك يا والدتي يا امي

الى الذي وفر لي سبل الحياة ووضع مفاتيح جميع الأبواب بيدي

الى الذي غمرني بحبه و عطفه حتى رغم بعد المسافات اليك يا ابي يا والدي

الى فلذة كبدي من انا رلي دربي و دفعني الى المثابرة و العمل، اليك يا بني الصغير

الى احبة قلبي اخواني و اخواتي

الى من عرفوني يوما و احتفظت لهم بالمحبة و الاحترام و سأبقى...

الى من لا يقوى الزمان على قتل ذكراهم و وجودهم في اعماقي

الى أكثر من احبتي في الحياة

الى من لا انساهم ما حييت، اهدي هذا المنشور من عمري...

حضارة عمارة

مقدمة:

يُعدّ منهج ابن خلدون في التعلم والاكتساب من أنجع الرؤى التعليمية والتربوية في الفكر الإسلامي، فهو يرى أن المعرفة ليست فطرية، بل تُكتسب بالتدرج والتكرار والممارسة، وتتحوّل إلى ملكة نفسية تُفضي إلى إدراك عميق وفهم فعّال، والمعرفة عنده هي انتقال الفكر إلى ما كان مُستحيلاً، وهي نتاج تدريجي للفكر الإنساني مرتبط بالممارسة الحسية والفكرية، بحيث أن ابن خلدون يربط العملية التربوية بالبنية الاجتماعية والتطور العمراني، ويؤمن بأن التربية تنمو وتزدهر في الحضارة، حيث تتشكل شبكات المعرفة وتنتشر الصناعات وينتشر العلماء، وبذلك يُضفي على التربية بُعداً ثقافياً واجتماعياً وفكرياً في آن واحد، ان من أهم المواضيع التي تحدث عنها ابن خلدون هو التدرج في التعلم، ومبدأ عدم خلط المتعلمين بين علمين، إضافة إلى التكرار وتقريب المعنى إلى الحواس قبل الخوض في التجريد، كما يربط الجانب النفسي للتعلم بالنجاح الأكاديمي، مُحذراً من فرض أهداف مُعقّدة و الشدة، قبل نضوج الاستعداد الذهني للمتعلم، إذ يؤدي ذلك إلى التعب ونقص الشغف في السعي وراء المعرفة، إذا كان هدف التعليم بالنسبة له هو اكتساب الكفاءة العلمية، لا مجرد الحفظ، فإن تساؤلات جوهرية التي يمكن طرحها حول مدى ملاءمة هذا النموذج التكويني للأنظمة التعليمية الحديثة، وكيف يُمكن دمج مبدأ التخصص التدريجي وعدم اختلاط العلوم في المناهج المعاصرة، من هنا تنطلق إشكالية بحثنا التي تُحاول استكشاف مدى قدرة المنظور مفكرنا على إعادة صياغة نموذج تعليمي مُناسب للبيئات التعليمية المُعاصرة، وتعزيز التفكير النقدي وإنتاج المعرفة. وعليه، إلى أي مدى يُمثل منهج ابن خلدون في "التعلم والاكتساب" القائم على التدرج والتكرار والممارسة الدقيقة للمفاهيم نموذجاً تربوياً قابلاً للتطبيق في السياق التربوي المعاصر لتعزيز التحصيل العلمي وتنمية القدرات العلمية لدى المتعلمين؟

1. أهمية الموضوع:

تتجلى أهمية الموضوع في كون ابن خلدون لا يعتبر التربية مسؤولية الفرد فحسب، بل ركنًا من أركان حضارة الأمة، فهي المسؤولة عن تكوين أفراد قادرين على الإنتاج والمشاركة في بناء مجتمع متحضر، إضافة إلى التأثير المستمر لأفكاره على التربية الحديثة بحيث أنه لا تزال مساهماته في تطوير مناهج التدريس، ذلك من خلال المناهج التعليمية الحديثة التي تُقدّر التفكير البناء والتعلم التفاعلي، إضافة إلى اقتراحه أهدافًا تربويًا تشمل نموًا روحيًا وفكريًا وأخلاقيًا وإنتاجيًا متماسكًا، وتشجع التعليم متعدد التخصصات والمناهج بصفته رائدًا في الدراسات الاجتماعية والتاريخية، كذلك توفيره أرضية خصبة لتحليل كيفية ارتباط التعليم بعوامل أخرى مثل القبلية والأنظمة السياسية والتراث الثقافي.

2. أسباب اختيار الموضوع:

إنه لمن البديهي أن يكون لكل موضوع بحث دواعي ذاتية وأخرى موضوعية لاختياره والتي يمكننا إجمالها فيما يلي أهمها:

الأسباب الذاتية:

- ارتباط مجال عملنا بالتربية والتعليم وانغماسنا الكبير بهذا المجال واطلاعنا على الكم الهائل من المشكلات التي تعترض عمل المعلم والخلل الكبير في الهوة الشاسعة بين مدخلات ومخرجات المناهج التعليمية الساري بها العمل، دفعنا لاختياره كموضوع دراسة للتمكن من الإجابة على بعض التساؤلات التي طالما تبادرت إلى أذهاننا حول المناهج التعليمية وأنجعها في الحقل الدراسي والتربوي.
- كذلك غاييتنا الدائمة في اكتشاف المحفزات والدوافع المساعدة على تحقيق أكبر نسبة نجاح في تجسيد المناهج على أرض الواقع.

الأسباب الموضوعية:

- التطور والتقدم المجتمعي مبني على التعلم وابن خلدون ركز على هذا المجال فهو يقدم نموذجاً شاملاً لبناء الفرد ومجتمعه، بهدف الانتقال من حالة الجهل الاجتماعي إلى التنظيم المدني والتقدم العلمي ، إضافة إلى ما يقدمه في مختلف التخصصات كالتاريخ و العلوم الاجتماعية و غيرها .

3. أهداف الموضوع:

تهدف هذه الدراسة إلى عرض وتحليل محتوى نظرية ابن خلدون من خلال التركيز على أهم الجوانب التي تحدث عنها ابن خلدون في مجال التربية والتعليم، كذلك تقديم نظرة واضحة عن نظرية التعلم والاكْتساب عند ابن خلدون وفي نفس الوقت تقديم شرح مفصل لأهم المفاهيم التي جاء بها ابن خلدون ذلك من خلال عرض مفهوم الملكة والتدرج والاكْتساب من خلال مقدمة ابن خلدون ، وكذلك إعطاء فكرة حول تنمية العقول بالنسبة لابن خلدون بدءاً من المعرفة الحسية، ثم العقل التجريبي، وأخيراً العقل التمييزي، والذي هدف من خلالها إلى تحقيق معرفة نظرية متكاملة تُتمّي التفكير الإنساني ،كما تضمن توضيح الفكر ابن خلدون في دمج التنمية العقلية والأخلاقية والمهنية وفهم التعاليم الإسلامية، وتنمية المهارات المهنية، والعلوم العقلية، في نموذج متكامل للفرد المسلم المنتج ، وتقديم منهجية تربوية منظمة تبدأ بالتعلم الحسي والمعرفي في مرحلة الطفولة، ثم التركيز على مهنة أو تخصص واحد حتى إتقانه، مما يمنع التشتت الناتج عن تعدد المدخلات قبل إرساء أساس متين.

4. المنهج المستخدم في الموضوع:

وقد وظفنا في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي والذي يعد الأنسب لهذه الدراسة ، ويعرف على أنه أحد أهم المناهج في الأبحاث العلمية، يتناول المنهج الوصفي التحليلي المواضيع الهامة للبحث وفي مختلف المجالات، إلا أن أكثر استخداماته يكون في المجال

الأدبي وغيره من مجالات الدراسات حيث يتعمق هذا المنهج في أدق تفاصيل الموضوع المدروس، فهو يبحث ويحلل بجميع الأبحاث المعقدة والتي تحتاج إلى الكثير من التحليل حتى يتم التمكن من الوصول إلى النتائج الفعالة والمهمة، يقوم عمل هذا المنهج على تحليل المعطيات والبيانات وتفسيرها ومعالجتها بهدف وضع النتائج والحلول المناسبة وتبويبها.

5. الدراسات السابقة:

- الدراسة الأولى: بعنوان ملامح الفكر التعليمي عند ابن خلدون، لبن عليّة عبد السلام ، جامعة يحي فارس المدية الجزائر ، مجلة اللسانيات ، المجلد 26 ، العدد 2 ، ديسمبر 2020.

تناولت هذه الدراسة طريقة ابن خلدون في حديثه عن مسألة تعليم العلوم بصفة عامة و تعليم اللغة وتعلمها بصفة خاصة، كونها تتضمن مبادئ أساسية من شأنها أن تعطي تفاسير هامة للكثير من الظواهر المراد تعلمها لدى الفرد من قبل المجتمع الذي يتواجد فيه، سواء من حيث المحتوى والمضمون أو من حيث الطرائق المتبعة في العملية التعليمية، وخلصت هذه الدراسة إلى أنه يمكن اعتبار الفكر الخلدوني مقارنة من المقاربات المبنية على معطيات علمية تراعي الجوانب النفسية والفيزيولوجية والاجتماعية للفرد المتعلم بالرغم من أنها تبدو مجرد إشارات وملاحظات، ولكنها نابغة، عن تجربة اجتماعية وثقافية عاشها ابن خلدون لسنوات طويلة يمكن استثمارها اليوم في الحقل التعليمي واعتمادها في المجال التطبيقي لعدد من المواد الدراسية¹.

- الدراسة الثانية : بعنوان رؤى ابن خلدون في طرق اكتساب الملكة اللسانية من خلال مقدمته ، لبوهني مصطفى ، جامعة منتوري قسنطينة ، مجلة الناص ، العدد 20 ديسمبر 2016.

تناولت هذه الدراسة موضوع الملكة واكتساب اللغة وتطرق إلى طرق اكتساب الملكة اللسانية ، حيث ذكرت حفظ القرآن وركزت على فكرة أن اللغة من المقومات المهمة وأن ابن خلدون أسهب في التحدث عن طريقة تحصيلها واكتسابها وأن اللغة ليست فطرية فحسب، بل هي مهارة مكتسبة وقدرة ثابتة تُمكن المتعلم من التعبير بحرية ، ويوضح أن اكتساب هذه المهارة يبدأ بالاستماع إلى اللغات الأم، ثم الحفظ والتقليد، ثم تكرار الاستخدام حتى تترسخ في الذهن، لذا يُوصي بتهيئة بيئة لغوية أصيلة من خلال قراءة نصوص العرب الفصحاء، والقرآن الكريم، والشعر، ويؤكد أن التكرار الواعي ، لا مجرد الحفظ الأعمى ولم يكتفي ابن خلدون بشرح القواعد النحوية، بل ربط التعلم بالتطبيق العملي من الكتابة، والمناظرة والمناقشة، ويرفض التلقين القسري الذي يُشتت التفكير ويُقيد المتعلم وينفره من تلقي العلوم، ومن خلال هذه الممارسة، يصبح السلوك اللغوي سريعاً وطبيعياً، فتبدو المهارة فطرية لدى المتعلم، ويمثل هذا المسار تقاليد معرفية راسخة في تاريخ الفكر العربي.

في الختام ، لا يسعنا إلا أن نعبر عن عميق شكرنا وتقديرنا للباحثين الذين سبقونا في هذا المجال، والذين أسهموا في إثراء المكتبة العربية بدراساتهم القيمة حول الفكر التربوي عند ابن خلدون. لقد كان لأعمال الأستاذ بن علي عبد السلام تأثير كبير في دراستنا، خاصة من خلال بحثه "ملامح الفكر التعليمي عند ابن خلدون"، الذي نشر في مجلة اللسانيات عام 2020. هذا البحث ألقى الضوء على المبادئ الأساسية في منهج ابن خلدون التعليمي، وفتح لنا آفاقاً لاستثمار هذه المبادئ في السياقات التعليمية الحالية.

كما أننا نشتمن جهود الدكتور بوهني مصطفى في دراسته "رؤى ابن خلدون في طرق اكتساب الملكة اللسانية من خلال مقدمته"، المنشورة في مجلة الناص عام 2016. هذه الدراسة قدّمت

رؤى جديدة حول مفهوم الملكة وطرق اكتسابها، وربطت بين النظرية المنسوبة لابن خلدون والتطبيق العملي في تعلم اللغة على وجه الخصوص.

إن هذه الدراسات السابقة، بالإضافة إلى إسهامات علمية أخرى في هذا المجال، شكلت أرضاً خصبة انطلقنا من خلالها في بحثنا، حيث سعينا لإضافة المزيد من المعرفة من خلال استكشاف إمكانيات تطبيق المنهج الخلدوني في المجالات التربوية المعاصرة. فكل الشكر والتقدير للباحثين على جهودهم العلمية التي نقدرها وإضاءاتهم الفكرية التي ساعدتنا على إثراء بحثنا وتعميق فهمنا لأبعاد الفكر التربوي لمفكرنا الفذ.

والمأمول أن تكون دراستنا هذه إضافة متواضعة إلى هذا الصرح العلمي، وأن تفتح آفاقاً جديدة للبحث والدراسة في مجال الفكر التربوي الإسلامي وتطبيقاته المعاصرة.

مدخل : ابن خلدون : حياته و أعماله

تمهيد :

يُعدّ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (1332-1406م) من أبرز المفكرين في التاريخ الإسلامي، بل ويُعدّ واحدًا من أوائل المؤسسين لعلم الاجتماع في معناه الحديث، وُلِدَ في تونسالتيفورت له بيئة خصبة للتعليم والتفكير في القرن الرابع عشر الميلادي، وفي فترة اتسمت باضطرابات سياسية واجتماعية عميقة في العالم الإسلامي، مما شكّل خلفية خصبة لتأملاته وتحليلاته في الظواهر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية كما أثرت في تكوينه فاكتمل روح التحدي والمرونة الفكرية منذ طفولته ، تميّز ابن خلدون بعمق نظره واتساع أفقه في مقارنة التاريخ والمجتمع، وقد ظهر ذلك جليا في كتابه الشهير المقدمة، الذي وُضع كمدخل لكتابه كتاب العبر، إلا أنه سرعان ما استقلّ بقيمة علمية وفكرية وشكل لنفسه مكانة متميزة بالإبداع و التجديد ، ففي المقدمة، لا يكتفي ابن خلدون بسرد الوقائع التاريخية كما كان سائداً في عصره، بل يسعى إلى تحليل العوامل المؤثرة والكامنة وراء قيام الدول وسقوطها، متبنيًا منهجًا تجريبيًا ونقديًا سبق به عصورًا لاحقة.

لقد جمع ابن خلدون في شخصيته بين العالم والمؤرخ والفقهاء، لكنه تميز بنزعة نقدية عقلانية جعلته يتجاوز السمة التقليدية للفكر الإسلامي الوسيط، ومن هنا، فإن دراسة فكره تمثل مدخلًا ضروريًا لفهم تطور العلوم الاجتماعية والسياسية في الحضارة الإسلامية، كما تفتح المجال لإعادة تقييم إسهاماته ضمن سياق أكثر شمولية يصل حد العالمية والإنسانية.

1.نشأته :

ينتمي ابن خلدون إلى أسرة عريقة ذات أصول يمنية حضرمية، هاجرت من إشبيلية بالأندلس إلى شمال أفريقيا في القرن الثالث عشر الميلادي. كانت عائلته من الأسر المثقفة والمتنفذة في السلطة الحاكمة آنذاك في الأندلس، حيث شغل أجداده مناصب عالية في الإدارة

والقضاء. هذا الأصل الأندلسي ترك أثراً عميقاً في تكوينه الثقافي والفكري، حيث ورث عن أسلافه حب العلم والمعرفة، وهو كما ورد في المؤلف المنسوب إليه "رحلة ابن خلدون": «عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد ابن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون، لا أذكر من نسبي إلى خلدون غير هؤلاء العشرة، ويغلب على الظن أنهم أكثر، وأنه سقط منهم عدداً، لأنَّ خلدون هذا هو الداخل إلى الأندلس، فإن كان أول الفتح فالمدة لهذا العهد سبعمائة سنة، فيكونون زهاء العشرين؛ ثلاثة لكل مائة، كما تقدم في أول الكتاب الأول، ونسبنا حصرموت، من عرب اليمن، إلى وائل بن حجر، من أقبال العرب، معروف وله صحبة، قال أبو محمد بن حزم في كتاب الجمهرة: وهو وائل بن حجر بن سعيد بن مسروق بن وائل بن النعمان بن ربيعة بن الحارث بن عوف سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن شرحبيل بن الحارث بن مالك بن مرة بن حميري بن زيد بن الحضرمي بن عمرو بن عبد الله بن هاني بن عوف بن جرشم بن عبد شمس بن زيد بن لأي بن شبت بن قدامة بن أعجب بن مالك بن لأي بن قحطان، وابنه علقمة بن وائل وعبد الجبار بن وائل¹» ويتحدث عن نشأته فيقول: «أما نشأتي فإني ولدت بتونس في غرة رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة، وربيت في حجر والدي رحمه الله إلى أن أئفقت وقرأت القرآن العظيم على الأستاذ المكتب أبي عبد الله محمد بن سعد بن بزال الأنصاري²»، أما عن نسبه فيذكر نذير معيزي مايلي: «أما نسبه فيذكر حضر الموت من عرب اليمن إلى وائل بن حجر، من أقبال العرب، معروفة وله صحبة وقد اشتهر بنو خلدون بالعلم والسياسة وتقلد بعضهم الامارات والوزارات، لقد بدأ ابن خلدون دراسته بحفظ القرآن، كما تعلم أصول العربية، وفي

¹ عبد الرحمان بن محمد بن محمد ابن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الاشبيلي، رحلة ابن خلدون، عرضها بأصولها وعلق حواشيها محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2004، ط1، ج1/ص27.

² المرجع نفسه، ص36

السابعة عشرة من عمره مات والده بسبب الطاعون الذي اجتاح تونس العام 1349 م، ارتحل إلى فاس من العام 1354م¹،

2. تعلمه:

اهتم ابن خلدون بالعلم والمعرفة وأقبل على العلوم بشغف، حيث تردد على مجالس كبار علماء عصره في جامع الزيتونة، واحتك بكبار شيوخ العلم، بدأ ابن خلدون تعليمه في كتاتيب تونس، حيث تعلم القرآن الكريم والقراءة والكتابة وفق التقاليد التعليمية السائدة آنذاك. تميز منذ الصغر بذكاء حاد وقدرة عالية على الاستيعاب، مما لفت انتباه معلميه. كان التعليم في تلك الفترة يركز على حفظ النصوص الدينية والأدبية، لكن ابن خلدون تجاوز هذا النهج التقليدي بفضل فضوله العلمي حيث يقول «علمت صناعة العربية على والدي، وعلى أساتذة تونس: منهم الشيخ أبو عبد الله بن العربي الحصائري، وكان إماماً في النحو وله شرحٌ مستوفى على كتاب التسهيل. ومنهم أبو عبد الله محمد بن الشواش الزرزال. ومنهم أبو العباس أحمد بن القصار؛ كان ممتعاً في صناعة النحو، وله شرح على قصيدة البردة المشهورة في مدح الجناح النبوي، وهو حي لهذا العهد بتونس، ومنهم: إمام العربية والأدب بتونس، أبو عبد الله محمد بن بحر؛ لازمت مجلسه، وأفدت عليه، وكان بحراً زاخراً في علوم اللسان، وأشار علي بحفظ الشعر، فحفظت كتاب الأشعار الستة، والحماسة للأعلم، وشعر حبيب، وطائفة من شعر المتنبي، ومن أشعار كتاب الأغاني. ولازمتُ أيضاً مجلس إمام المحدثين بتونس²»، كما أنه «استأنف الدرس في جامع القرويين على جماعة من أكابر العلماء الوافدين من الأندلس وباقي أقطار المغرب، أَلَمَ بكتب اللغة العربية، وذكر منها "التسهيل" لابن مالك والمعلقات وشرح "الحماسة" للأعلم وديوان أبي تمام وبعضاً من شعر

¹ نذير معيزي ، الأسس المعرفية للنظرية الاجتماعية عند ابن خلدون ، المدرسة العليا للأساتذة ، بوزريعة ، د.س ، الجزائر ، ص306.

² عبد الرحمان ابن خلدون ، رحلة ابن خلدون ، ص38.

المتنبي ومن أشعار كتاب الأغاني، كما درس معظم كتب الحديث والفقہ المالكي على الخصوص، وأخذ العلوم العقلية والمنطق¹.

3. شيوخه و تأثيره بهم :

تتلمذ ابن خلدون على يد العديد من الشيوخ و العلماء في عصره نذكر من أبرزهم كل من «أبو عبد الله بن سعد بن بر الأنصاري " إمام القراءات " ، قرأ عليه ابن خلدون القرآن بالقراءات السبع المشهورة إفرادا وجمعا في إحدى وعشرين ختمة ، وعرض عليه لامية الشاطبي في القراءات ورأيتة في الرسم ، كما عرض عليه التقصي لأحاديث الموطأ لابن عبد البر ، ودارس عليه كتاب التسهيل لابن مالك في النحو ، ومختصر ابن الحاجب في الفقہ ، كما أخذ عن الشيخ أبي عبد الله العربي الحسايري ، و أبي عبد الله محمد بن الشواش الرزالي ، وكذا أبو العباس أحمد بن القصار ،أخذ عنه النحو²»، ثم يواصل الحديث عن أهم الشيوخ الذين ساهموا في تكوينه :«أخذت الفقہ بتونس عن جماعة؛ منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجياني، وأبو القاسم محمد القصير؛ قرأت عليه كتاب التَّهْذِيب لأبي سعيد البرادعي؛ مختصر المدونة، وكتاب المالكية، وتفقَّهت عليه. وكنت في خلال ذلك أُنْتَاب مجلس شيخنا الإمام، قاضي الجماعة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام، مع أخي محمد رحمة الله عليهما. وأفدت منه، وسمعت عليه أثناء ذلك كتاب الموطأ للإمام مالك، وكانت له فيه طرق عالية، عن أبي محمد بن هارون الطائي قبل اختلاطه إلى غير هؤلاء من مشيخة تونس، وكلهم سمعت عليه³» ، و يذكر أيضا محمد الحاكم :«كما أخذ عن أبي عبد الله عبد الله محمد بن بحر الذي كن اماما في علوم اللسان ،أشار على ابن خلدون

¹ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع وواضع أصول فلسفة التاريخ ، موقع الكتروني اطلع عليه يوم 2025/05/28 على الساعة 16:43 ، <https://www.aljazeera.net/encyclopedia>

²محمد الحاكم بن عون وزير بعلي ، التربية و التعليم عند ابن خلدون بين التعقيد و الممارسة " فلسفة التعليم عند ابن خلدون من خلال فكره و تجربته التعليمية مشرقا و مغربا " جامعة حمة لخضر الوادي ، جامعة باتنة ، الجزائر ، ص 33.

³ عبد الرحمان ابن خلدون ،رحلة ابن خلدون ، ص 39.

بحفظ الشعر ، فحفظ كتاب الأشعار الستة وكتاب الحماسة للأعلم وشعر الحبيب وبعض من شعر المتنبي وبعض أشعار كتاب الأغاني ، إضافة الى ذلك فقد تتلمذ على يد أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجياني وأبو القاسم محمد القصير قرأ عليه كتاب التهذيب في اختصار المدونة للبرادعي وقاضي الجماعة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الذي كان ابن خلدون ينتاب مجلسه كما سمع عليه كتاب الموطأ للإمام مالك ، وإضافة الى ذلك وفي مجلس السلطان أبي الحسن أخذ ابن خلدون عن أبي عبد الله محمد سليمان السطي و أبي محمد عبد المهيم بن عبد المهيم الحضرمي " امام المحدثين و النحاة بالمغرب " لازمه و أخذ عنه سماعا و إجازة و كذا أبو العباس أحمد الزواوي و غيرهم من العلوم العقلية و المنطق ، أما في الأندلس أخذ ابن خلدون عن أبي عبد الله الكوسي خطيب الجامع الأعظم بغرناطة حيث قرأ عليه بعض الموطأ وأجازه بسائره.¹»

4.رحلاته :

سافر ابن خلدون الى عدة مناطق نظرا لبحثه عن العلم وشغفه الذي لا ينتهي حول المعرفة والعلوم حيث يقول عن رحلته الى الأندلس «ولما أجمعت الرحلة إلى الأندلس، بعثت بأهلي وولدي إلى أحوالهم بقسنطينة، وكتبت لهم إلى صاحبها السلطان أبي العباس، من حفدة السلطان أبي يحيى، وأني أمر على الأندلس، وأجيز إليه من هنالك، وسرت إلى سبته فرضة المجاز، وكبيرها يومئذ الشريف أبو العباس أحمد بن الشريف الحسني، ذو النسب الواضح، السالم من الريبة عند كافة أهل المغرب، انتقل سلفه إلى سبته من صقلية، وأكرمهم بنو العزفي أولاً وصاهروهم ، ولما كانت واقعة القيروان، وخلع أبو عنان أباه، واستولى على المغرب، وكان بسبته عبد الله بن علي الوزير، والياً من قبل السلطان أبي الحسن، فتمسك بدعوته، ومال أهل البلد إلى السلطان أبي عنان. وبث فيهم الشريف دعوته، فثاروا بالوزير وأخرجوه، ووفدوا على أبي عنان، وأمكنوه من بلدهم فولى عليها من عظماء

¹محمد الحاكم بن عون وزير ،التربية والتعليم عند ابن خلدون،ص 33.

دولته سعيد بن موسى العجيسي، كافل تربيته في صغره، وأفرد هذا الشريف برياسة الشورى في سبته، فلم يكن يقطع أمر دونه، ووفد على السلطان بعض الأيام، فلتقاه من الكرامة بما لا يشاركه فيه أحد من وفود الملوك والعظماء، ولم يزل على ذلك سائر أيام السلطان وبعد وفاته. وكان معظماً وقور المجلس، هش اللقاء، كريم الوفادة، متحلياً بالعلم¹، إضافة إلى ذلك تحدث محمد الخضر حسين عن رحلته حيث يقول «لبث ابن خلدون بعد تقليده رسم العلامة أمداً غير بعيد حتى أمكنته الفرصة من أمنيته، وغادر تونس إلى قفصة ثم إلى بسكرة ثم خرج منها قاصداً السلطان أبا عنان بتلمسان، فلتقاه في طريق عودته، وحمله على المسير معه إلى بجاية ليغتنب بصحبته²»، ثم رجع إلى فاس حيث تعرف إلى جلة العلماء، «ولما كنت في الاعتماد في مشايعة السلطان عبد العزيز ملك المغرب، كما ذكرت تفاصيله، وأنا مقيم ببسكرة في جوار صاحبها أحمد بن يوسف بن مزني، ...وهم يرجعون إليه في الكثير من أمورهم، فلم أشعر إلا وقد حدثت المنافسة منه في استتباع العرب، ووغر صدره، وصدق في ظنونه وتوهماته، وطاوع الوشاة فيما يوردون على سمعه من التقول والاختلاق، وجاش صدره بذلك، فكتب إلى ونزمار بن عريف، ولي السلطان، وصاحب شواره، يتنفس الصعداء من ذلك، فأنهاه إلى السلطان، فاستدعاني لوقته، وارتحلت من بسكرة بالأهل والولد، في يوم المولد الكريم، سنة أربع وسبعين، متوجهاً إلى السلطان، وقد كان طرقة المرض، فما هو إلا أن وصلت مليانة من أعمال المغرب الأوسط، فلقيني هنالك خبر وفاته، وأن ابنه أبا بكر السعيد نصب بعده للأمر، في كفالة الوزير أبي بكر بن غازي وأنه

¹ عبد الرحمان ابن خلدون ، رحلة ابن خلدون، ص 83.

² محمد الخضر حسين ، حياة ابن خلدون و مثل من فلسفته الاجتماعية ، الناشر مؤسسة هنداوي ، المملكة المتحدة ،

2013 ، ص 11.

ارتحل إلى المغرب¹ « بعدما استدعاه سلطان فاس من بجاية ، فأكمل نظام مجلسه العلمي به، واختاره للكتابة والتوقيع بين يديه² »

5. محنته و المناصب التي تولاها ابن خلدون :

واجه ابن خلدون خلال حياته تحديات سياسية معقدة، حيث كانت المنطقة تشهد صراعات مستمرة بين القوى المختلفة، اضطر أحياناً إلى تغيير ولاءاته السياسية للحفاظ على مكانته ومصالحه، مما عرضه لانتقادات من معاصريه. هذه التجارب السياسية أثرت بشكل كبير في فهمه لطبيعة السلطة والحكم، وقد تم اتهامه بالمؤامرة على السلطان حيث يذكر محمد الخضر حسين في كتابه ما يشير إلى ذلك : «حظي ابن خلدون لدى أبي عنان وارتقى في دولته مكاناً عليّاً، فأخذ حُرُّ الحسدِ يفتح قلوب بعض منافسيه، فأخذوا يبيّتون له المكائد، وينصبون له شرك السعاية، حتى استطاعوا أن يدخلوا إلى إفساد قلب السلطان عليه من باب السياسة، إذ رموه بالدخول في مؤامرة مع الأمير محمد صاحب بجاية، ولتهمة الائتثار على نقض شيء مما تبنيه يد الدولة سهام لا تكاد تخسأ، إذا لم تصبِ المَقَاتِلُ أوهت العظمَ وقلقلت الحشا وسلبت الأجفان نومتها الهادئة، وبالأحرى حيث لم تكن قضاياها ممّا يوكل إلى اجتهاد محكمة عادلة، وإنما ينفرد بسماع بلاغها ويستبد بتقدير عقوبتها أحد الخصمين الذي هو الرئيس الأعلى»³.

وقد تعرض للسجن أول مرة بسبب التهمة التي لفقت له كما ورد في كتاب حياة ابن خلدون، حيث يقول ابن خلدون «كان اتصالي بالسلطان أبي عنان، آخر سنة ست وخمسين، وقربني وأدنانني، واستعملني في كتابته، حتى تكدر جوي عنده، بعد أن كان لا يعبر عن

¹ عبد الرحمان خلدون ، رحلة ابن خلدون ، ص 179.

² محمد الخضر حسين ، حياة ابن خلدون، ص 11.

³ المرجع نفسه، ص 11.

صفاءه، ثم اعتل السلطان، آخر سبع وخمسين، وكانت قد حصلت بيني وبين الأمير محمد صاحب بجاية من الموحدين مداخله، أحكمها ما كان لسلفي في دولتهم. وغفلت عن التحفظ في مثل ذلك، من غيرة السلطان، فما هو إلا أن شغل بوجعه، حتى أنمى إليه بعض الغواة، إن صاحب بجاية، معتمل في الفرار ليسترجع بلده، وبها يومئذ وزيره الكبير، عبد الله بن علي، فانبعث السلطان لذلك، وبادر بالقبض عليه. ...، وامتحنني وحبسني، وذلك في ثامن عشر صفر، سنة ثمان وخمسين. ثم أطلق الأمير محمداً، وما زلت أنا في اعتقاله، إلى أن هلك. وخاطبته بين يدي مهلكه¹. ويواصل ابن خلدون سرد المحن و المؤامرات التي دبرت له : « وكانت هذه النكبة أول ما لقيه ابن خلدون من بلاء السياسة، وأيقن بها أن إقبال الدولة سرعان ما ينقلب إدباراً، وأن عزاً تبنيه للرجل صباحاً قد يأتي عليه المساء، فإذا هو الدرك الأسفل من الهوان، ثم إن السلطان أطلق سبيل الأمير محمد، وترك ابن خلدون يقاسي شدة الحبس ويتجرّع مرارة المحنة، وقد تنجح شفاعة الشعر لدى الحاكم المطلق وتأتي بالأثر الذي تذهب الحجج الساطعة دونه عبثاً. وما كان من أبي عنان إلا أن هش للقصيدة وكان وقتئذٍ بتلمسان ووعد بالإفراج عن ابن خلدون عند حلوله بحاضرة فاس. ولكنه لم يلبث بعد إيابه إلى الحاضرة إلا خمس ليالٍ فطرقة الوجع ولقي أجله قبل أن يفي بوعده لابن خلدون² » ، ثم بادر الوزير الحسن بن عمر إلى إطلاق سراح ابن خلدون من السجن حيث أنه أعاده الى منصبه الذي كان يشغله و قد ذكر ذلك : «وأعاد إليه ما كان يتقلد من أعمال الدولة»، وعندما استلم السلطان أبو سالم زمام الملك استعمل ابن خلدون على كتابة سره، وألقى إليه الأمر في إنشاء مخاطباته، فعدل بالإنشاء عن طريقة التسجيع وأخذ به في طريق الترسل ولم يكن في كُتّاب الدولة لذلك العهد من يجيد صناعة الترسل فكانت هذه المزية من أسباب تقوّقه وإحرازه قصب السبق في حلبة البيان والتحرير³.

¹ عبد الرحمان ابن خلدون ،رحلة ابن خلدون ، ص73.

² محمد الخضر حسين ،حياة ابن خلدون ، ص12.

³المرجع نفسه ، ص 12.

لم يؤثر ما حل به من مصائب و مشاكل على مكانته حيث أتيحت له فرصة تقلد منصب في عهد عمر بن عبد الله كما يسرد ذلك محمد الخضر حسين: « وقع زمام الحكم في قبضة الوزير عمر بن عبد الله وكانت بينه وبين ابن خلدون مودةً وصحبة، فأقره على ما كان يتولاه من العمل وزاد في جراته، ولما لاح له أن الوزير أخلَّ بعهد الصحبة أخذه الاستياء من تقصيره إلى أن انقطع عن دار السلطان وهجرها، وصرف القدم عن زيارتهم لا عن ملل¹». أي أنه قد اعتبر الوزير انسحاب ابن خلدون من البلاط الملكي خطأً فادحاً، إذ قلل من هيئته وولائه لرئاسة الدولة فبدلاً من أن يُعامل كصديق حميم ومبجل، تغيرت نظرة الوزير عند توليه منصبه، فقرر معاقبة الصمت والعزلة بالإهمال والقسوة، وعندما طلب ابن خلدون العودة إلى إفريقية (تونس)، مُنع بشدة، ولم يُسمح له بالسفر، رغم رغبته في الابتعاد عن البلاط. وفي عيد الفطر، زاره الوزير وألقى قصيدةً عبّر فيها عن كبريائه وتشبثه بالسلطة. وبعد ذلك منحه الوزير الإذن بالسفر، خشية أن يقوى بسلطة أبي حمو وينمو نفوذه على حسابه، وهكذا، بدت الصداقة السياسية بين الطرفين متأثرةً بتهديد السلطة والطموح، وحلّت من خلال المنصب لا الروابط الإنسانية.

ثم أرسل سفيراً إلى ملك الإسبان الذي أحسن وفادته من طرف بني الأحمر كما ذكر ذلك محمد الخضر: « نزل ابن خلدون من السلطان ابن الأحمر منزلة الاحتفاء والإنعام، وندبه للسفارة بينه وبين ملك الإسبان، فعرف الملك قيمته وأعجب بكماله ومقدرته، حتى دعاه إلى الإقامة معه بدار مُلكه «إشبيلية»، ملتزماً له بأن يرد عليه ما كان لسلفه من أملاك، فرفض ابن خلدون هذه الدعوة، ولم يكن ممن يشغفه المال حباً فيؤثر على المقام بين أمتة التي يشرف بشرفها وينحط شأنه بانحطاط سمعتها²»، تحصل ابن خلدون على مكانة عالية ما خلق له عداوات وسعوا إلى تخريب العلاقة القائمة بينه وبين الملك، وقد بدا ذلك واضحاً من خلال ما ذكر فيمالي: «وظفّقوا يُسرّون لابن الخطيب ما يزلزل ركن الصداقة بينه وبين

¹ محمد الخضر حسين، حياة ابن خلدون، ص 13.

² المرجع نفسه، ص 14.

ابن خلدون، حتى اغبرَّ صدره، وبدا عليه انقباض أحسَّ به ابن خلدون، فجعل وجه البلاد في عينه قاتمًا، ولم يسعه بعد تنكر ابن الخطيب إلا أن يعتزم على الرحلة، سافر إلى بجاية وأقيمت له يوم مقدمه حفلة مشهودة، و أستقبله السلطان ، وهرع إليه أهل البلد إلى لقائه، وانهالوا يمسحون أعطافه ويلثمون يده، فاجتمع له في هذا الاحتفال إقبال الدولة وانعطاف الأمة»¹. ولما رحلت من تونس منتصف شعبان من سنة أربع وثمانين، أقمنا في البحر نحوًا من أربعين ليلة، ثم وافينا مرسى الإسكندرية يوم الفطر. ولعشر ليال من جلوس الملك الظاهر على التخت، واقتعاد كرسي الملك دون أهله بني قلاوون، وكنا على ترقب ذلك، لما كان يؤثر بقاصية البلاد من سموه لذلك، وتمهيد له. وأقمت بالإسكندرية شهرًا لتهيئة أسباب الحج ولم يقدر عندئذ، فانتقلت إلى القاهرة أول في القعدة، فرأيت حضرة الدنيا، وبستان العالم، ومحشر الأمم، ومدجج الذر من البشر، وإيوان الإسلام، وكرسي الملك، تلوح القصور في جوه، وتزهر الحوانك والمدارس بآفاقه، وتضيء البدور والكواكب من علمائه، قد مثل بشاطئ²، ثم انتقل إلى مصر بحيث تولى بها القضاء ويقول في هذا الصدد «واتفقت وفاة قاضي المالكية إذ ذاك ناصر الدين بن التنسي، وكنت مقيمًا بالفيوم لضم زرعني هنالك، فبحث عني، وقلدني وظيفة القضاء في منتصف رمضان من سنة إحدى وثمانمائة، فجريت على السنن المعروف مني، من القيام بما يجب للوظيفة شرعاً وعادة³»

أي أنه اطر لمغادرة المكان بعد تدهور العلاقة مع الملك و هذا ما دفعه الى السفر الى بجاية الا أنه رحب به من قبل أهل المدينة واستقبله السلطان بصدر رحيب وتقلد بها منصب أخرى إدارية .

¹ محمد الخضر حسين، حياة ابن خلدون، ص14.

² عبد الرحمان ابن خلدون ، رحلة ابن خلدون، ص199.

³ المرجع نفسه، ص272.

6. أعمال ابن خلدون العلمية :

وضع ابن خلدون (1332-1406) أسس الفكر الحديث في دراسة التاريخ والمجتمع من خلال المقدمة، التي اعتُبرت منطلقاً لمناهج علم الاجتماع والتاريخ والفلسفة السياسية ، في هذه المقدمة، أحدث ثورة في فهم التغير الحضاري من خلال مفاهيم مثل العصبية، ودورة صعود الدول وسقوطها، وتأثير الجغرافيا والبيئة على تطور المجتمعات، كما قدم رؤى اقتصادية سبقت عصره، مثل نظرية العمل في تحديد القيمة، والعلاقة بين انخفاض الضرائب وازدهار التجارة ، مهد هذا الطريق لمفهوم الاقتصاد السياسي الحديث ، وصف كتابه العظيم، "كتاب العبر"، المكون من سبعة أجزاء، تاريخ العالم الإسلامي وشمال إفريقيا بأسلوب نقدي موضوعي إلى حد ما ومنهجية خاصة، بعيداً عن التراث، جامعاً بين مصادر متعددة دون الاعتماد على النقل المباشر، أما على الصعيد العلمي، فقد طرح ابن خلدون علماً جديداً يهدف إلى فهم طبيعة الثقافة الإنسانية وتفسير الأحداث التاريخية من خلال الرؤية العقلانية والملاحظة التجريبية ، و أثبت أن الأخطاء التاريخية تنبع من عدم فهم قوانين الحضارة الإنسانية ، وشمل إرثه الفكري أيضاً مساهمات في العلوم السياسية والفكر الإسلامي، وكان له دورٌ بالغ الأهمية في شرح العلاقة بين الدين والسلطة والتعليم والمعرفة، مما جعله يُعتبر بحق أحد مؤسسي العلوم الاجتماعية والأنثروبولوجيا السياسية، حيث يشير سالم جاسر النصافي في مجلة كلية الأدب جامعة بنها: « ويذكر ابن الخطيب في ترجمته لابن خلدون " الإحاطة في أخبار غرناطة " أن أول مؤلف له شرحه لقصيدة البردة و أكد على انه كان شرحاً بديعاً وظف فيه ابن خلدون فنون إدراكه و غزارة حفظه ، ويذكر ابن الخطيب أن ابن خلدون لخص محصل الامام فخر الدين بن الخطيب الرازي و ألف كتابا في الحساب و شرح الرجز الصادر عن ابن الخطيب نفسه في أصول الفقه بشيء لا غاية

وراءه في الكمال ¹. و قد اشتهر ابن خلدون بين العلماء والمفكرين بكتابه (مقدمة ابن خلدون) كما سبق و أن ذكرنا و المعنون، بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاشرهم من ذوي السلطان الأكبر ، وهو مقسم إلى ثلاثة كتب في سبعة مجلدات.

«الكتاب الأول: في العمران، وما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان والكسب والمعاش، والصناعات والعلوم، وما لذلك من العلل والأسباب، وهذا الكتاب الأول هو المقدمة المشهورة، وتقع في نحو أربعمئة صفحة، فتوسع ابن خلدون في ذلك بما استنبطه من الأسباب والنتائج بمعارضة الحوادث ودرسها، والبحث في عللها،

الفصل الأول: في قسط العمران من الأرض وما فيها من الأقاليم وتأثير الهواء في ألوان البشر وأخلاقهم، واختلاف أحوال العمران من الخصب والجوع، وما ينشأ عن ذلك من الآثار في أبدان البشر وأخلاقهم ،وهذا المبحث كثير الشبه بما أتى به علماء أوروبا في نظرية النشوء والارتقاء بعد ابن خلدون بخمسة قرون².» أما الفصل الثاني فقد تناول فيه : «العمران البدوي، والأمم الوحشية والقبائل، وما يعرض في ذلك المباحث في طبيعة البداوة والحضارة، والفرق بينهما من حيث الأنساب والعصبية والرياسة والحسب والملك والسياسة وغير ذلك ، وهذا المبحث من قبيل القواعد العامة لنظام الاجتماع الذي ظهر في أوروبا في القرن التاسع عشر، وأطلق عليه المعاصرون اسم (سوسيولوجيا) ، كما تضمن الفصل الثالث: «الدول العامة، والملك والخلافة والمراتب السلطانية، علل فيه أسباب السيادة وتشديد الدول، وكيف تحفظ الإمارة، وشروط السلطة والخلافة وطبائع الملك، ومعنى البيعة وولاية العهد ومراتب السلطان ودواوين الدولة وجندها وأساطيلها وشاراتها، وقواعد الجند والحرب وأسباب ثبوت

¹سالم جاسر النصافي ، فلسفة التاريخ عند ابن خلدون ، مجلة كلية الأدب جامعة بنها ، الجزء الخامس، العدد السادس و الخمسون ، أكتوبر 2021 ص 37.

²محمد لطفي جمعة ، تاريخ فلاسفة الإسلام ، دراسة شاملة عن حياتهم و أعمالهم و نقد تحليلي عن آراءهم الفلسفية ، الناشر مؤسسة هنداوي ، المملكة المتحدة ، 2014، ص 232.

الدولة وسقوطها ،ثم الفصل الرابع: في البلدان والأمصار وسائر العمران، والمدن والهيكل ونسبتها إلى الدول، وما تجب مراعاته في وضعها من حيث البر والبحر، وفي بناء المساجد والبيوت ونسبتها إلى الدول الإسلامية، وهذا المبحث من قبيل الهندسة الحربية ، كذلك الفصل الخامس: في المعاش ووجوهه من الكسب والصناعات وفيه مسائل في الرزق والكسب، وأنه قيمة الأعمال البشرية، وفي المعاش وأصنافه ومذاهبه ونسبة ذلك إلى طبيعة العمران، وفيه مباحث مسهبة في أبواب الرزق من التجارة والصناعة على اختلاف ضروبها وأنواعها، ووصف أمهات الصناعات في أيامه، كالزراعة، والعمارة، والنسيج (الحياكة والخياطة) والتوليد والطب، والوراقة، والغناء وغيره ، وهذا المبحث من قبيل ما يسميه أهل هذا الزمان الاقتصاد السياسي، والاقتصاد الاجتماعي¹»، «أيضا الفصل السادس: في العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه، ونسبه التعليم إلى الحضارة، والكلام في كل علم على حدة وتاريخه وشروطه من علوم القرآن والحديث والفقه، فالعلوم اللسانية والطبيعية والرياضية والطبية، فالأدب هي لشعر، والتاريخ، والإلهيات وعلم النفس، وعلم النجوم، والعلوم السحرية»². أما الكتاب الثاني فهو يشتمل على المجلد الثاني و الثالث و الرابع و الخامس و يتضمن تاريخ العرب و الإسلام ، بينما الكتاب الثالث فهو يشتمل على المجلد السادس و السابع فيتضمن أخبار البربر و تاريخ المغرب بالإضافة الى ترجمة لحياته ألحقها بأخر الجزء السابع و ذيل تاريخه بها ، وهي فصل طويل عنوانه " التعريف بابن خلدون ، عنى فيه ببعض الاختصارات و ينتهي من ترجمة حاله»³.إضافة الى ذلك فقد ذكر له الحاجي خليفة في كشف الظنون المؤلفات التالية :

1-تلخيص المحصل لفخر الدين الرازي

¹عبد الرحمان ابن خلدون ،رحلة ابن خلدون ، ص05.

²المرجع نفسه ، ص06.

³سالم جاسر النصافي ، فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، ص 39.

2-رحلة

3-شرح الرجز لابن الخطيب في الأصول

4-شرح قصيدة ابن عبدون

5-شرح قصيدة البردى

6-طبيعة العمران

وعليه يمكن القول ان ابن خلدون قدم الكثير من مؤلفات وكان أشبه بموسوعة علمية فكرية، أرسى دعائم تجديد في دراسة الجماعات البشرية تُقرأ حتى اليوم كمقدمة للتفسير العلمي للتاريخ، العلم الاجتماعي، والاقتصاد السياسي.

خلاصة :

من خلال كل ما ذكرناه نستنتج أن ابن خلدون من أبرز المفكرين المسلمين بلا منازع، نشأ في بيئة علمية ودرس مختلف العلوم الشرعية واللغوية والفلسفية واشتهر بموسوعته كتاب العبر التي تضم المقدمة، الذي من خلاله وضع أيضا أسس علم الاجتماع ونظرية العمران، كذلك أشار إلى التعلم و الاكتساب وغيرها من المفاهيم التي سنتطرق إليها في هذه الدراسة ، إضافة إلى كونه قد شغل مناصب سياسية وقضائية في بلاد المغرب ومصر، وواجه محنًا ونكبات عديدة منها السجن وفقدان أسرته والتي أثّرت على بناء شخصية والسياسية في تشكيل رؤيته النقدية للتاريخ والمجتمع وما جعله يتميز بمنهج عقلي تحليلي يخالف الأساليب التقليدية في التأريخ وتُعد أعماله مرجعًا مهمًا في الفكر الإسلامي والإنساني والعالمي ككل.

الفصل الأول: أسس نظرية التعلم عند ابن خلدون

تمهيد :

تُعد نظرية التعلم عند ابن خلدون من أهم المكونات المعرفية التي تميز بها مشروعه الفكري العام، وقد اتضحت معالم هذه النظرية في سياق تداخلت فيه الفلسفة بالتربية تداخلا عميقا يعكس رؤيته للإنسان، ولعملية التعلم على وجه الخصوص بوصفها تطورا تدريجيا ومستمرًا من التجربة إلى الفهم، ومن الحس إلى العقل، ومن المحسوس إلى المجرد، لم تكن أفكار ابن خلدون حول التعليم بمعزل عن رؤيته الفكرية ككل، بل جاءت متناغمة مع نظريته إلى العمران البشري، والدولة، والتاريخ، والعقل البشري و قد انطلق ابن خلدون في تأسيس نظرية التعلم من منظور يعتمد الواقعية والتجربة والملاحظة والممارسة، ويتعد عن النظريات العقلية الخالصة والتي لا تمت بصلة للحياة العملية كما اعتنى بمبدأ التدرج في التعلم، محذرا من الحشو المعرفي الذي لا يسمح بتطوير المهارات ولا يُنمي الفهم، كما بيّن الفرق بين العلم الملقّن والعلم المكتسب عن طريق التجربة والتفكير، معتبرا أن التكرار والممارسة والصبر من شروط ترسخ المعرفة لدى المتعلم، بتفعيل المفاهيم الفلسفية، فابن خلدون يعتمد على نظرية في المعرفة تجمع بين عناصر ثلاث تتمثل في العقل والتجربة والحس، وهي رؤية تحاول تجنب الجمود العقلي للمنطق الأرسطي السائد آنذاك، نحو تصور ديناميكي جديد ومتجدد لتكوّن المعرفة. أما من الناحية التربوية، فقد كان ناقدًا لنظام التعليم التقليدي في عصره، مستهدفا في ذلك الأساليب القائمة على الحفظ والإكراه، وقد دعا إلى تبني مبدئين أساسيين هما:

- تعليم يقوم على الفهم التدريجي.

- مراعاة قدرات المتعلمين النفسية والعقلية.

المبحث الأول: الرؤية الفلسفية للإنسان والمعرفة عند ابن خلدون

1. نظريته للطبيعة البشرية والفطرة:

يقسم ابن خلدون العالم الذي ينتمي اليه الانسان بحسب مداركنا الى ثلاثة عوالم : عالم الحس ، وعالم النفس و عالم الأرواح و الملائكة ، وهذا ما فهممن قوله : «انا نشهد في أنفسنا بالوجدان الصحيح وجود ثلاثة عوالم : أولها عالم الحس و نعتبره بمدارك الحس الذي شاركنا فيه الحيوانات بالإدراك ، ثم نعتبر الفكر الذي اختص به البشر فنعلم منه وجود النفس الإنسانية علما ضروريا بما بين جنبينا من مدارك العلمية التي هي فوق مدارك الحس ، فنراها عالما آخر فوق عالم الحس ثم نستدل على عالم ثالث فوقنا نجد آثاره التي تلقى في أفئدتنا كالإرادات و الواجبات ، نحو الحركات الفعلية ، فنعلم أن هناك فاعلا يبعثنا عليها من عالم فوق عالما وهو عالم الأرواح والملائكة وينقسم العالم الأول المحسوس الى قسمين : عالم العناصر وعالم التكوين و كل قسم منها مقسم الى عدة أنواع مرتبة ترتيبا هرميا ، فأما ترتيب أنواع القسم الثاني فيمكن أن يقال كذلك روعي في ترتيبها الجانب المعنوي.¹» ومن خلال ما ذكره هنا وبهذه النظرة الى الانسان فهو لا يبسط حياته ، وانما هو يضعها في اطار تنازع دائم وخفي ،«فالفلاسفة قد بسطوا المعركة ونادوا بضرورة تغليب جانب العقل مطلقا وتجنب الغريزة مطلقا والى السعي إلى الإنسان»²

1الجيلاني بن التهامي مفتاح ، فلسفة الانسان عند ابن خلدون ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط 1 ، لبنان ، 2011 ، ص83.

²عبد الله شريط ، الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون ،موقف للنشر ، د.ط، الجزائر ، 2008 ، ص173.

ويعني ذلك الحث على استخدام العقل وتجنب الأهواء وما تمليه علينا الغريزة والعيش بالفكر الوسطي ، وقد عزز فكرته هذه من خلال توظيفه لدلائل من الدين فانه ينظر اليها على أنها أبعد ما تكون عن البساطة ، « إن الانسان اذا قضى على حيوانيته فقد قضى على حياته ، وقضى على نوعه البشري وعلى حضارته وشرائعه برمتها»¹، ويرى عبد الرزاق بلعقروز أنه: «يشدد على صلاحية الاستناد إلى معيار الطبيعة الفكرية الأصلية التي فطر الله بها الإنسان ، ثم شرع بعد ذلك في بناء تقابل منهجي بين الفطرة الفكرية الأصلية وبين الصناعة المنطقية ومباحث الألفاظ والمفاهيم»²، والقصد من هذا القول فكرة أساسية في فلسفة التعليم ، يؤكد فيها الكاتب على أهمية الاعتماد على القدرة الطبيعية للتفكير التي فطر الله عليها الإنسان، وهي قدرة عفوية تعتمد على الفهم البديهي والاستيعاب الطبيعي دون الحاجة لقوانين معقدة. ثم يقوم بعقد مقارنة مبنية على منهجية بين هذه الفطرة الفكرية الموجودة أصلاً وبين ما يسميه "الصناعة المنطقية" التي تتمثل في القوانين والقواعد الفلسفية المعقدة ودراسة الألفاظ والمفاهيم بطرق مصطنعة ومتكلف فيها. والهدف من هذه المقارنة هو إثبات أن العقل الطبيعي للإنسان كافٍ للتعلم والفهم، وأن الطرق المعقدة التي ينتهجها المنطق والفلسفة قد تعقد عملية التعلم أكثر مما تبسطها، مما يدعو إلى تفضيل البساطة والطبيعية في التعليم على التعقيد والتكلف.

وقد نوه ابن خلدون الى سكان الأقاليم المتوسطة أنهم يتميزون بحسن السيرة والخلقة والأخلاق وذلك من خلال تميز طريقة عيشهم بحيث انه يشير الى «معاش ومساكن وصنائع وعلوم ورئاسات والملك، فكانت فيهم النبوءات والملك والدول والشرائع والعلوم

¹ المرجع نفسه ، ص173.

² عبد الرزاق بلعقروز، ابن خلدون و تربية الفكر الإنساني من الصناعة الى الطبيعة ، اسلام أون لاين، اطلع عليه يوم

2025/06/03 ، على الساعة 15:37 ،

<https://islamonline.net/wp-content/uploads/pdf/islamonline-net-44953.pdf>

والبلدان والأمصار والمباني والفراسة والصنائع الرفيعة»¹، وقد تحدث ابن خلدون على أهل السودان على أنهم يتصفون بالعموم بالخفة والطيش وكثرة الطرب، وأنهم مولعون بالرقص على كل توقيع في كل قطر، ويرجع ذلك للطقس الحار الذي تمتاز به تلك المنطقة ، يعني هذا أنه ينظر للإنسان على أنه كائن، وأنه جزء من العالم المادي الملموس، وأنه أشرف المخلوقات، لأنه يضم في ذاته العالم الحسي والجسدي والذي يشترك فيه مع الحيوانات من خلال حواسه الخمس، كالسمع والبصر ، إضافة الى عالم الفكر والعقل ، يتجاوز الحواس إلى حد بعيد، فهو قادر على التفكير والتخيل والتحليل، مما يميزه عن الحيوانات ، والعالم الروحي أو الملائكي في حالات كالرؤى والنبوءات، يمكن للإنسان أن ينتقل إلى هذه المرحلة الروحية، حيث تتجاوز الروح حدود الجسد والعقل إلى عالم التجريد والغيب.

¹ساطع الحصري ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، الناشر مؤسسة هنداوي ، المملكة المتحدة ، د.ط، سنة 2018 ، ص 282.

2. العقل والنفس في فكر ابن خلدون:

- العقل :

يرى أن تطور الفكر الإنساني يسير عبر ثلاث مراحل متدرجة، تبدأ بالحس وتنتهي بالتفكير المجرد ، يُبين في مقدمته أن الإنسان يشترك مع الحيوانات في الإدراك الحسي، لكنه يتميز عنها بقدرة التفكير التي تُمكنه من تنظيم أفعاله ، هذه المراحل هي:

- العقل التمييزي: وهو القدرة على التمييز بين الأمور، مثل الخير والشر، والصواب والخطأ.

- العقل التجريبي: يُستخدم لاكتساب المعرفة من خلال التجربة والملاحظة، مما يساعد الإنسان على فهم العالم من حوله .

- العقل النظري المجرد: وهو أعلى مستويات التفكير، حيث يتمكن الإنسان من التفكير في المفاهيم والأفكار بعيداً عن الواقع الملموس.

وفي نظر حمود سالم أن ابن خلدون يرى العقل التمييزي على أنه قدرة الانسان على التعقل، فالانتظام في السلوك والفعل هما نتاج لتفعيل العقل ، وأن القدرة على التفكير، والربط بين الأفعال وترتيبها فُضِّل بها الانسان على سائر المخلوقات وحَمَلَهُ الله رسالة الاستخلاف وعمارة الأرض¹، أي أنه ترتيب الحوادث أو الأفعال بناءً على طبيعة الأشياء نفسها ، أما العقل التجريبي فهو قدرة الانسان على التفكير، يقول أن « الإنسان مدني بالطبع تعود نسبتها الى المدينة كناية عن الاجتماع البشري »²، يعني هذا أن الانسان اجتماعي بطبعه لا يمكنه العيش وحيدا بعيدا عن مجتمعه وأسرته « بعد هذين مرتبة العقل النظري الذي تكفل بتفسير

¹ حمود سالم العليمات ، نظرية ابن خلدون في الذكاء و القدرات العقلية : الأسس الاجتماعية و الثقافية ، المجلة الأردنية

للعلوم الاجتماعية المجلد 2، العدد 1 ، 2009، ص40

²المرجع نفسه، ص40

العلوم فلا نحتاج الى تفسيره»¹، وعليه يمكن القول أنه قد ركز على تقديم شرح كل من العقليين التمييزي والتجريبي و لكنه لم يعطي اهتماما كبير للعقل النظري، كونه يرى أنه أعلى مراتب الفكر، حيث يتجاوز الإنسان المحسوسات والتجارب المباشرة ليتأمل في المفاهيم المجردة والأفكار الكلية، ويهدف هذا العقل إلى فهم الحقائق الكونية والأسباب البعيدة للأشياء، وبالنسبة له كان موضوعاً مألوفاً لدى العلماء في عصره، وكانوا قد تناولوه في مؤلفاتهم، لذلك، اكتفى بالإشارة إليه دون الخوض في تفاصيله.

- النفس :

يشير ابن خلدون في دراساته الى طبيعة النفس الإنسانية وأصنافها، فالنفس عنده حلقة من حلقات الانتظام الكوني، فالنفس تتازعها مستويات :المستوى العلوي والمستوى السفلي وقد عبر عنها بالنفس السفلى أو الحسية ، وسماها النفس المدركة والنفس الفاعلة و النفس الناطقة، وهذا الذي بنى عليه نظريته ، ويقصد بالنفس المدركة التي تتمثل في الحواس الخمس (البصر، السمع، الشم، الذوق، اللمس).

نظر للنفس البشرية كموضع للبحث ، لكنه أشار الى بعض المسائل النفسية بشكل غير مقصود ولذلك قد ذكر في مضمون بعض الفصول العديد من الأفكار والمعلومات عن النفس وقوى النفس ، بحيث أنه يقول :«الموجودات على ما هي عليه بتلك البراهين فقول مزيف مردود وتفسيره أنّ الإنسان مركّب من جزأين أحدهما جسماني والآخر روحاني ممتزج به ولكلّ واحد من الجزأين مدارك مختصة به والمدرك فيهما واحد وهو الجزء الروحاني يدرك تارة مدارك روحانية وتارة مدارك جسمانية إلا أنّ المدارك الروحانية يدركها بذاته بغير واسطة والمدارك الجسمانية بواسطة آلات الجسم من الدماغ والحواس»² يمكن القول أنه يشرح رؤيته

¹ عبد الرحمن ابن خلدون ، المقدمة ، حققها و قدم لها و علق عليها عبد السلام الشداوي ، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ و علم الانسان و التاريخ ، وزارة الثقافة ، الطبعة الأصلية بيت الفنون و العلوم و الأدب ، الجزائر ، 2006، ص342.

²المقدمة لابن خلدون ،المرجع نفسه ، ص 711.

للطبيعة المعرفية للإنسان، التي تتجاوز مجرد الإدراك الحسي، رافضاً بذلك الاكتفاء بالمعرفة الحسية وحدها لفهم الوجود، في المقابل تُدار المُدركات الحسية بواسطة الدماغ وأعضاء الحس، وبالتالي فهي ليست مُباشرة.

كما يشير الى طبيعة النفس وأصنافها في فصل تفسير حقيقة النبوة فيقدم ابن خلدون «رؤية إدراكية شاملة للكون وموجوداته، كافة الصغرى والكبرى ويفصل ابن خلدون في ترتيب العوالم والعلاقة بينها الى أن يصل الى ما يهمنا وهو النفس الإنسانية، فالنفس حلقة من حلقات الانتظام الكوني وفيها خصائص إدراك وحركة ما قبلها، وما بعدها، فلها في الاتصال جهتا العلو والسفل فهي متصلة بالبدن من أسفله منها وتكتسب به المدارك الحسية¹ وهذا ما نجده في نظرية المعرفة عند ابن خلدون.

تُعتبر النفس الإنسانية مركزاً للعديد من القوى التي تتكامل لتشكّل الإدراك والفكر والفعل بحيث أن ابن خلدون يقسمها الى :

1. القوة المدركة: «تتمثل في الحواس الخمس (البصر، السمع، الشم، الذوق، واللمس)، وهي المسؤولة عن استقبال المعلومات من البيئة المحيطة .
2. الحس المشترك: يُعد بمثابة مكتسبات من المجتمع الجمعي للمعلومات المدركة، حيث يجمع بين المدخلات الحسية من مختلف الحواس .
3. المخيلة: تقوم بتمثيل الصور الحسية في النفس، مما يسمح بتخزينها واسترجاعها لاحقاً .
4. الواهمة: تُعنى بإدراك المعاني المجردة المرتبطة بالأشياء، مثل العواطف أو القيم.
5. الحافظة: تعمل على تخزين المعلومات المدركة والمخزنة في الذاكرة لاستخدامها لاحقاً.

¹حمود سالم العليمات ، نظرية ابن خلدون في الذكاء و القدرات العقلية : الأسس الاجتماعية و الثقافية ، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية المجلد 2، العدد 1 ، 2009، ص38.

6. القوة المفكرة (العقلية): تُعنى بالتحليل والتركيب، حيث تُنتج المفاهيم المجردة والمعرفة النظرية من خلال معالجة المعلومات المخزنة¹.

3. نظرته للمعرفة وطرق تحصيلها :

يمكن القول أن نظرة المعرفة عند ابن خلدون متنوعة ومتعددة، فهو يربطها بالحياة الروحية والعقلية، وهي الحس والمجتمع، ويمكن القول إنها الواقع، كما يذكر فتحي حسن ملكاوي «وهو يتوسع في الحديث عن علوم البشر وأصنافها وتقسيماتها، يبين ابن خلدون كيف أن الإدراك البشري، لا يمكنه الإحاطة بعلم الله الكامل، سواء كانت متعلقة بالكائنات أو بالأفعال، ويرى أن هناك نوعاً من الإدراك يتجاوز حدود مدركاتنا»². أي أن هذا لا يقلل من قيمة العقل، بل يبين حدوده في مسائل التوحيد والآخرة وحقائق النبوة وصفات الله، وبناءً على ذلك، يرى ابن خلدون أن التوحيد هو الاعتراف بعجز العقل عن إدراك الأسباب وكيفية تأثيرها، وتقويض ذلك إلى خالقها المحيط بها، وقد بين ابن خلدون أن الملائكة: «ذوات مجردة عن الجسمانية والمادة، وعقل صِرْف يتحد فيه العقل والعقل والمعقول، وكأنه ذات حقيقتها الإدراك والعقل، فعلمهم حاصل دائماً مطابقة بالطبع لمعلوماتهم لا يقع فيها خلل البتة وهو علم حادث في الملة عندما صارت العلوم صنائع والرؤيا مدرك من مدارك الغيب»³، ويواصل قائلاً: «ويصف الأنبياء على أنهم صنف من البشر يتميزون بصفات يهبها الله لهم»⁴ أي أن مهمة الأنبياء إيصال ما أوحى إليهم من علوم يعتمدون عليها في حياتهم قصد نيل رضى الله عز وجل ، أما علوم البشر فقد تحدث عنها وصنّفها بطرق

¹ مقدمة ابن خلدون ، أصناف النفوس البشرية ، موقع الكتروني اطلع عليه يوم 2025/06/03 على الساعة 18:23 ،

<https://sources.marefa.org>

² فتحي حسن ملكاوي ، رؤية العالم عند عبد الرحمان ابن خلدون ، مجلة أعداد الكلمة ، العدد 53 السنة الثالثة عشر

خريف 1427/2006 م ، ص14.

³ المرجع نفسه، ص14.

⁴ المرجع نفسه ، ص15.

مختلفة، ونسب كل العلم إلى الله سبحانه، فقال: «ومرد العلم كله إلى الله، والبشر عاجز قاصر، والاعتراف متعين واجب، ومن كان الله في عونه تيسرت عليه المذاهب، وأنجحت له المساعي والمطالب.¹»، كما يشير ابن خلدون إلى أهمية علوم العقل ووظيفتها العلمية والعملية، خاصة منها علم الكلام، «فالكلام باعتباره أداة ومنهج الاستفادة، حجاج تقوى به عقائد الايمان ويضعف به ما يخالفها»². وعليه فإن نظرة ابن خلدون إلى مجال ووظيفة العلوم العقلية متميزة تعبر عن وجهة نظرة الخاصة و يرى ضرورة استبعاد العقل و المنطق والفلسفة في الموضوعات الغيبية.

المبحث الثاني: مصادر المعرفة عند ابن خلدون

1. الحواس و التجربة :

يشير ابن خلدون إلى مركزية الحواس والتجربة كأساس لعملية المعرفة، ويرى أن العقل وحده لا يكفي لإدراك الحقائق، نظرًا لطبيعة هذه الكائنات التي تتجاوز حدود المادة ولا يمكن للحواس إدراكها، لذلك يضع حدودًا واضحة لقدرة العقل على الإدراك، «ويرى أن الاعتماد على الحواس والتجربة هو السبيل الوحيد الموثوق لفهم العالم الخارجي، وهو يشير إلى "القوى الإدراكية" و"القوى النزوعية"، و"القوة المدركة"، و"القوة المحركة"، و"القوة المفكرة"؛ والتي يصفها "بالنفس المدركة"، "النفس الفاعلة"، و"النفس الناطقة" وأحيانًا "القوة المحركة والفاعلة" باسم الفاعلية، والقوة المفكرة باسم الناطقة»³، كون الإدراك خاصية إنسانية كرم الله الإنسان بها وعليه يمكن القول أنه يرى أن الإنسان يمتلك قدرة فريدة على إدراك ما هو خارج عن ذاته، وذلك بفضل الفكر الذي يتجاوز الحواس، ويرد هذا إلى القوى التي وُجدت في دماغه،

¹ ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، تحقيق ودراسة علي عبد الواحد وافي، طبعة مزيّدة ومنقحة، القاهرة: نهضة مصر، 2004، ج1 ص327.

² بن بوهة أحمد، العلوم العقلية عند ابن خلدون، قسم العلوم الاجتماعية كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة جيلالي لباس، سيدي بلعباس، مجلة النص، سبتمبر 2016، 377.

³ ساطع الحصري، المرجع نفسه، ص 366.

والتي تتيح له استخراج صور المحسوسات، والتأمل فيها، ومن ثم تجريد صور أخرى منها، هذه العملية تمكن الإنسان من الانتقال من إدراك المحسوسات إلى المعقولات أو المجردات، وهذا مما يميز الإنسان عن سائر الكائنات .

2. العقل و التفكير :

لقد ميز الله سبحانه وتعالى الانسان بملكة العقل، وقد أثبت ابن خلدون ذلك من خلال أن الفكر الإنساني طبيعة مخصصة واعتبره وجدان حركة للنفس وحدد وجود مكانه في البطن الأوسط للدماغ، و«أكد العلماء وعلى رأسهم بياجيه وجود هذه البنية العقلية القابلة للنمو من إعادة تنظيم البنى المعرفية الموجودة لديه والقيام بتعديلها والتطور لدى الطفل التي تمكنه من إعادة تنظيم البنى المعرفية الموجودة لديه والقيام بتعديلها»¹. فإن شأن العقل هو شأن الميزان نظرا لأهميته ، وحسب "بن علي عبد السلام " «أنه في نظر ابن خلدون إن عمل العقل مثل عمل الميزان، محدود بحدود، فمن الضروري الرجوع إلى الديانة والشريعة في كل ما يقع وراء تلك الحدود ، كما أشار ابن خلدون إلى عملية عقلية مهمة تسهم على نحو فعلي في اكتساب الملكة اللغوية هي الفهم، وذلك من خلال قوله لأنه لا تحصل الملكة من حفظه إلا بعد فهمه² ، يعني ذلك أنه يشير الى أن الفهم عملية ذهنية تتم بواسطة الإدراك والتذكر ويُعدّ في عُرف علماء النفس عاملا أساسيا في عملية تعلم اللغة شريطة توفر التجانس في النظام الصوتي ،إضافة الى ذلك فهو مفطور على إدراك العالم الطبيعي مهياً للاستدلال على ما فوقه بأثاره ، وهذا العقل تتجلى فاعليته في مستويات ثلاثة، متدرجة في كمالها ، هي العقل التمييزي ، العقل التجريبي والنظري ، «ذلك أن ابن خلدون يعتبر أن الفلاسفة من قبله كانوا مخطئين لما أرادوا أن يصلوا الى معرفة ما وراء الطبيعة بالعقل وحده خصوصا لما كان من المؤكد عجز الحواس عن مساندته في ذلك فعالم الغيبيات أوسع من نطاق

¹ بن علي عبد السلام ، ملامح الفكر التعليمي عند ابن خلدون ، مجلة اللسانيات ، المجلد 26، العدد 2، جامعة يحي

فارس المدينة ، الجزائر، 2020 ، 125.

²المرجع نفسه ، 126.

العقل»¹ و يعني ذلك أنه يرى بأن العقل البشري هو أداة قياس صحيحة، ولكن له حدوداً لا يمكنه تجاوزها، فهو يعترف بأن العقل لا يستطيع الإحاطة بكل شيء، خاصة في مسائل التوحيد والآخرة وحقائق النبوة وصفات الله ، الا أن ابن خلدون يؤكد على أن العقل البشري، رغم قوته، لا يستطيع الإحاطة بكل شيء، لذلك، يجب على الإنسان أن يعترف بعجزه عن إدراك كل شيء، ويتبع ما أمره به الشارع من اعتقاد وعمل، هذا لا يقلل من قيمة العقل، بل يبين حدوده في مسائل التوحيد والآخرة وحقائق النبوة وصفات الله.

3. النقل و التراث :

يتحدث ابن خلدون عن مفهوم النقل على أنه هو كل ما يؤخذ بالرواية والتقليد، ويعتمد على السماع من المصادر الأصلية أو الموثوقة، من غير تدخل العقل أو الاعتبار العقلي المباشر بحيث يقول «واعلم أن النقل الذي تثبت به اللغة، إنما هو النقل عن العرب أنهم استعملوا هذه الألفاظ لهذه المعاني، لا تقل إنهم وضعوها لأنه متعذر وبعيد، ولم يعرف لأحد منهم. وكذلك لا تثبت اللغات بقياس ما لم نعلم استعماله²»، كما أنه قسم العلوم الى قسمين « القسم الأول صنف طبيعي يهتدي اليه الانسان بفكره ، ومثل له بالعلوم الحكمية ، كالطب والفلسفة والتي يمكن للإنسان أن يقف عليها بطبيعة فكره ويهتدي بمداركه البشرية الى مسائلها وموضوعاتها وأنحاء براهينها ويستطيع أن يميز فيها بين الخطأ و الصواب أما القسم الثاني فهي العلوم النقلية الوضعية وهي كلها مستندة الى الخبر عن الوضع الشرعي ولا مجال للعقل فيها .»³ حيث يقول في هذا الصدد «وأصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيات من الكتاب والسنة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله وما يتعلّق بذلك من العلوم التي

¹ زدك محمد أمين ، ابن خلدون مساهمة في تطور الفكر العلمي في عصره ، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية ، جامعة معسكر ، كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية ، قسم ادب و الفلسفة ، العدد 12، جوان 2014، ص46.

² المقدمة لابن خلدون ، المرجع نفسه، ص759.

³ شتاتحة أم الخير و بن عزوزي محمد ، منهجية الشك و التمييز عند العلامة ابن خلدون ، مجلة دراسات اجتماعية المجلد، مركز البحث في العلوم الإسلامية و الحاضرة الأغواط ، 05، العدد 01، 2021، ص 147.

تهيئها للإفادة ، ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربي الذي هو لسان الملة وبه نزل القرآن. وأصناف هذه العلوم الثقلية كثيرة لأن المكلف يجب عليه أن يعرف أحكام الله تعالى المفروضة عليه وعلى أبناء جنسه وهي مأخوذة من الكتاب والسنة بالنص أو بالإجماع أو بالإلحاق¹» وقد ارتبط مفهوم التراث عند ابن خلدون من خلال ما عرضه من أفكار في مؤلفاته ، حيث أن عصر ابن خلدون تميز بظاهرة اجتماعية قلما نجدها بارزة في مجتمع آخر ، «وهي التباين الصارخ والتناقض الواضح بين أقصى أنواع البداوة وأقصى أنواع الحضارة ، وقد أدى هذا التجاور بين هذين الشكلين المتباينين من الثقافة الى تعاقبهما في إقامة الدول ، وقد عاش ابن خلدون في كنف الصراع بين هذه ، بحاجة الى حضارة أهل المدن ، وعصبية أهل البادية»²، وعليه يمكن القول أن البيئة الاجتماعية و فرت بتناقضاتها وصراعاتها الفكرية المتفرقة، الزخم الذي دفع ابن خلدون إلى التأمل وطرح أسئلة جوهرية حول صعود الدول وسقوطها، والعوامل التي تحكم هذه الدورة التاريخية ومن هنا، يتضح أن التراث ليس مجرد ماضٍ ، بل هو سبيلٌ إلى الحكمة التاريخ

¹ " المقدمة " لابن خلدون ، ص550.

² عبد الرحمان بيلغ ، التراث و الكتابة التاريخية اطلالة على العلاقة من خلال المقدمة لابن خلدون ، مجلة الساوره للدراسات الإنسانية و الاجتماعية ، العدد 3 ، جامعة طاهري محمد ، بشار ، 2016، ص66-67.

المبحث الثالث: مفهوم الملكة عند ابن خلدون وأهميتها في التعليم

1. تعريف الملكة:

لقد ورد مصطلح الملكة في العديد من المواضيع في مقدمته وخاصة في الأجزاء التي تحدث فيها عن التعليم والتعلم، بحيث أن هذا المفهوم متصل بالتعليم ، وعليه فانه يرى إن الملكة أولا فردية ومكتسبة، ليست جماعية ولا فطرية، كما أنها جسمانية خارجية وملاحظة حتى ولو كانت قدرة ذهنية ، يقول ابن خلدون: «والملكة كلها جسمانية سواء كانت في البدن أو في الدماغ، والملكة متميزة عن مفهومي الفهم والوعيتتجاوز هذين المفهومين، ذلك كون الملكة مكتسبة الملكة فوق ذلك تكتسب بتكرار الأفعال ،وحسن الملكات في التعليم والصنائع وسائر الأحوال العادية يزيد الإنسان ذكاء في عقله وإضاءة في فكره ، وما لم تحصل الملكة لم يكن الحذق¹»، كانت الحنكة في التجربة تقيد عقلا و الملكات الصناعية تقيد عقلا و الحضارة الكاملة تقيد عقلا لأنها مجتمعة من صنائع في شأن تدبير²، إضافة الى كل ذلك ، فالملكة تتغير و تتطور كما يقول : « وذلك أن الحذق في العلم و التقنن فيه و الاستيلاء عليه انما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه و قواعده و الوقوف على مسائله و استنباط فروعه³»، كذلك يصفها ابن خلدون على : « أن الملكة إنما هي للعالم أو الشاذ في الفنون دون من سواهما فدل على أن هذه الملكة غير الفهم و الوعي و الملكات كلها جسمانية سواء كانت في البدن أو في الدماغ⁴» من خلال كل ذلك يمكن تعريفها على أنها

¹المقدمة لابن خلدون ،المرجع نفسه ،ص 340.

² المرجع نفسه،ص340.

³ المرجع نفسه ،ص 341.

⁴المرجع نفسه ،ص 341.

مجموع القدرات والمهارات والاستعدادات الفردية والمكتسبة بتكرار الأفعال والمتطورة والتي لها تجليات سلوكية خارجية مهمة للتعلم ، والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكراره مرة بعد أخرى حتى ترسخه صورته ، فالملكة الحاصلة عنه أكمل وأرسخ من الملكة الحاصلة عن الخبر وعلى قدر جودة التعليم وملكة المتعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة و حصول ملكته ثم ان الصنائع منها البسيط ومنها المركبوالبسيط هو الذي يختص بالضروريات والمركب هو الذي يكون للكماليات المتقدم منها في التعليم هو البسيط لبساطته أولاً ولأنه مختص بالضروري الذي تتوفر الدواعي على نقله فيكون سابقا في التعليم و يكون تعليمه لذلك ناقصا ولا يزال الفكر يخرج أصنافها ومركباتها «من القوة الى الفعل بالاستتباط شيئا فشيئا على التدرج حتى تكمل و لا يحصل ذلك دفعة و انما يحصل في أزمان و أجيال خروج الأشياء من القوة الى الفعل لا يكون دفعة لا سيما في الأمور الصناعية.»¹

يشير "محسن بجا" من خلال مقاله منهجية التعليم في مقدمة ابن خلدون الى أن هناك نوعين من الملكات، «بحسب ابن خلدون: الملكات الأساسية التي ينبغي للمتعلّم أن يحصلها من خلال تعليماته، وهي غاية التعلم وهدفه الأسمى وذلك أن الحذق في التعلم والتقن فيه والاستيلاء عليه إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستتباط فروعه من أصوله، الملكات الوسيطة الأدائية التي تخدم غيرها في طريق تحصيل الملكة الأساسية، فالمتعلم يحصل ملكة أولية وسيطة تساعد على الوصول إلى الملكة الأساسية مثل ملكة الوضوء من أجل تحصيل الملكة الأساسية التي هي الصلاة»²، وهو بهذا يفسر ما أشار إليه ابن خلدون من خلال مقدمة حول الملكة وكيفية حصولها و مفهومها ، أما "عبد السلام بن عليّة" فقد تناول مصطلح الملكة الذي يقابله في اللغة الأجنبية

¹ المرجع نفسه، ص 317.

² محسن بجا ، منهجية التعليم في مقدمة ابن خلدون ،موقع الكتروني اطلع عليه يوم 2025/06/03 على الساعة :

https://www.aljabriabed.net ، 18:17

«لفظة *compétence* وأن هناك من يسميها من علماء اللسان بالكفاية و يشير أيضا الى أن ابن خلدون ذكر مرارا هذا المصطلح في مواقع أخرى ، أعلم أن اللغات كلها ملكات إذ هي ملكات في اللسان ، اللغة في اللسان ويعني بالملكة الصفة الراسخة أي القدرة التي تنشأ لدى الفرد وتترسخ في ذهنه وتصبح مهارة يمارسها بكل سهولة ويسر ودون عناء لأن الملكة في عرف الأخصائيين قابلة للتطور والارتقاء جراء الممارسة المستمرة شريط توفر الفرد على عامل تهيؤ والاستعداد لذلك ، ويرى أن ابن خلدون هذه ملكة تحصل بممارسة كلام العرب وتكراره على السمع و التقطن لخواصه ،¹» بينما يرى "مجدي بن عيسى " أن مفهوم الملكة عند ابن خلدون يقوم على شقين ، «شق إدراكي يقوم على الإحاطة بجملة المبادئ والقواعد التي يتأسس عليها موضوعها وشق صناعي يقوم على الحذق والتفنن والاستيلاء وهو الشق تظهر عليه الملكة للعيان من خلال درجة تمكنها واستحكامها وجودتها كلا الشقين يتحددان انطلاقا من تصور صاحب المقدمة للملكة كمعطى جسدي اكتساب نموا وهذا ما شرحه عبد السلام الشداوي أن الملكة بالنسبة اليه لا تكتسبها النفس الا بواسطة الحواس ، عكس نمط آخر من المعرفة الخاصة بالأنبياء والمتصوفة ، و التي لا تكتسب الا بفعل استغراق الروح في ماهيتها الخاصة ، ويخص هذا الأهليات البدنية والفكرية بدأ بفعل التفكير²وعليه فان ابن خلدون يرى أن الملكة لا تأتي إلا بالكد والمباشرة، وهذا ما جعل للرحلة في طلب العلم حلقة لا غنى عنها في تعلمه إذا كان يرمي إلى اكتساب هذه الملكة، ويرتبط بذلك أخذه العلم من أفواه العلماء بالتلقين المباشر، وبذخر المادة المعرفية التي يحصل عليها بانتقالاته المكانية من بلد إلى بلد ومن شيخ إلى شيخ، مثلما ذكرنا في مدخل هذه الدراسة ، بينما ترى "أية عادل علي عبد الحليم" أن حصول المَلَكَاتِ والتلقين «أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً، فعلى

¹ ابن علي عبد السلام ،المرجع نفسه ،ص 123.

² مجدي بن عيسى ، اللسان و علومه في مقدمة ابن خلدون ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ،

الطبعة الأولى ، بيروت - لبنان ، 2015، ص 21

قدر كثرة الشيوخ يكون حصول المَلَكات ورسوخها فلقاء أهل العلوم، وتعدد المشايخ يفيد تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها، فيجرد العلم عنها، ويعلم أنها أنحاء تعليم وطرق توصيل، وتنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام في الملكات، وتصحح معارفه وتميزها عن سواها، مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتها من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم¹، أي أن التمتع بملكة حقيقية يكون من خلال بذل مجهود فكري الذي يمزج بين رحلة في العلم و تعدد الملقنين و تنوعهم .

2. آليات تكوين الملكات:

يقول ابن خلدون: «أيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرامها فتجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون ولا يفاوضون وعنايتهم بالحفظ»² أي أنه من الضروري الدخول في الحوارات والمناقشات العلمية لاكتساب الملكة واللغة وتطوير المهارات الفكرية واللغوية كون اللغة ملكة في اللسان للتعبير عن المعاني، وجودتها وقصورها مرتبط بالملكة و ذلك ليس بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة .

ويرى "عمر بوقمرة " أن الملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال، لأن الفعل يقع أولاً وتعود منه للذات صفة، ثم يتكرر فيكون حالاً، ومعنى الحال أنه صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار فيكون ملكة أي صفة راسخة بحيث «أن اللغة ملكة شبيهة بالصناعات الحسية من حياكة، وخياطة، وبناء، وزخرفة، وغيرها، وأن الملكة اللغوية وغيرها من الملكات درجات ورتب، منها العالي، ومنها الداني، وبينهما درجات ودركات، أن جودة الملكة ورداءتها بالنظر إلى

¹ أية عادل علي عبد الحليم ، مفهوم الملكة عند ابن خلدون بين الطبع و الصناعة ، موقع الكتروني اطلع عليه يوم

2025/06/04 ، على الساعة 10:00 ، <https://democraticac.de/?p=82091>

"المقدمة لابن خلدون ، المرجع نفسه، ص342.

التركيب والنظم، وليس الألفاظ المفردة، وهذا ما قرّره عبد القاهر الجرجاني من قبل»¹ و يشير أيضا "عمر بوقمرة" الى أن واقعنا اللغوي يكذب ذلك، فقد بدأنا نتعلم الفرنسية منذ السنة الرابعة ابتدائي إلى السنة التحضيرية من الماجستير أي أربع عشرة سنة من الطلب، وقد حفظنا كثيرا من الألفاظ الفرنسية، بحيث لو طلب من أحدا أن يسمي لنا الأشياء الكثيرة بها لما عجز عن ذلك، ولكن حين يطلب منه التعبير أو كتابة فقرة يخرس اللسان ويَجف القلم؛ فالألفاظ عند الجرجاني لا تتفاضل من حيث دلالاتها على مدلولاتها، فليس هناك لفظة أدلّ على معناها من لفظة أخرى، ولنتأكد من صحة هذا الرأي «ينبغي أن يُنظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف، وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلام إخبارا، وأمرًا، ونهيا، واستخبارا، وتعجبا. وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة، وبناء لفظة على لفظة²»، وبذلك «يعيب الجرجاني على الذين يرون أن الفصاحة في اللفظ المفرد، وأنها تعزى إليه دون مراعاة لمكانه في التركيب، ودليل ذلك أنك ترى الكلمة نفسها تروقك في موضع، وتوحشك في موضع آخر، ولو كانت المزية في الكلمة نفسها لكانت إما تحسن أبدا، أو لا تحسن أبدا»³.

و من الآليات التي حدّدها ابن خلدون لاكتساب الملكة نذكر ما يلي :

1. كثرة الحفظ وجودة المحفوظ: ومن أقواله في هذا الشأن:

«والذوق يشهد بذلك وهو ينشأ ما بين هذه الملكة والطّبع السّليم فيهما كما نذكر. وعلى قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة المقول المصنوع نظما ونثرا. ومن حصل على

¹ عمر بوقمرة ، صناعة الملكة اللغوية قفي الفكر العربي القديم الأسس و الآليات ، جامعة حسيبة بن بوعلي ، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية المجلد 12 ، العدد 01، القسم ج ، الآداب و الفلسفة ، الشلف، 2019، ص161.

² الجرجاني عبد القادر ، دلائل الاعجاز في علم المعاني ، المكتبة العصرية الدار النموذجية ، الجزء 1، الطبعة الأولى ، د.س، ص91.

³ عمر بوقمرة ، ص162.

هذه الملكات فقد حصل على لغة مضر وهو الناقد البصير بالبلاغة فيها وهكذا ينبغي أن يكون تعلّمها. والله يهدي من يشاء بفضله وكرمه¹.

الفهم: حيث يقول ابن خلدون « ولا ينبغي للمعلّم أن يزيد متعلّمه على فهم كتابه الذي أكبّ على التّعليم منه بحسب طاقته وعلى نسبة قبوله للتّعليم مبتدئاً كان أو منتهياً ولا يخلط مسائل الكتاب بغيرها حتّى يعيه من أوّله إلى آخره ويحصّل أغراضه ويستولي منه على ملكة بها ينفذ في غيره ، لأنّ المتعلّم إذا حصّل ملكة ما في علم من العلوم استعدّ بها لقبول ما بقي وحصل له نشاط في طلب المزيد والنّهوض إلى ما فوق حتّى يستولي على غايات العلم وإذا خلط عليه الأمر عجز عن الفهم وأدركه الكلال وانطمس فكره ويئس من التّحصيل وهجر العلم والتّعليم²».

2. الاستعمال: معناه أن يستخدم المتعلّم ما حفظ وفهم في أساليبه ، وأن ينسج كلاماً على منوال ما حفظ وفهم ، يقول: « أساليبهم وترتيب ألفاظهم فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال ويزداد بكثرتهما رسوخاً وقوّة ويحتاج مع ذلك إلى سلامة الطّبع والتّفهم الحسن لمنازع العرب وأساليبهم في التّراكيب ومراعاة التّطبيق بينها وبين مقتضيات الأحوال³».

• شروط الملكة:

أ- التكرار المستمر للأفعال:

الملكة لا تتحقّق إلا بتكرار الأفعال، الفعل يتكرر فتتحول الصفة من حالة إلى صفة راسخة تُسمّى ملكة «الملكة صفة راسخة»⁴.

¹المقدمة لابن خلدون ، ص772.

²المقدمة لابن خلدون ، المرجع نفسه، ص735.

³ المرجع نفسه، ص772.

⁴ المرجع نفسه ، ص317.

ب- الانتقال من الحالة إلى الرسوخ:

في البداية تنشأ صفة من الفعل المتكرر « أن لتبسيط موضوع الدرس وترسيخه في ذهن لدى المتعلم لا بد من استعمال وسائل الإيضاح أو ضرب الأمثال لتوضيح القصد والغاية من الدرس، وهذا ما وصلت إليه التربية الحديثة¹، ثم بتكرار إضافي تتكوّن "حالة"، وهي صفة غير راسخة، ومع المزيد من التكرار تصبح "ملكة" أي صفة راسخة في النفس. « وهو كما رأيت إنما يحصل في ثلاث تكرارات و قد يحصل للبعض في أقل من ذلك حسب ما يخلق له وبتييسير عليه»².

• المبادئ التي تقوم بتكوين الملكة:

أ- مبدأ السماع: السماع أبو الملكات، يفصل على المكتوب، وهذا الرأي توافقه الدراسات اللسانية الحديثة، فالمتكلم يتمكّن عن طريق حاسة السمع من نقل اللغة نقلاً مباشراً، ويقتصر هذا المبدأ على الفهم والتأويل، وهما أساس العملية التواصلية.

كما أنّ السرعة في النقل والحفظ تمكن المتكلم من الاندماج في العملية التواصلية بجميع جوانبها النفسية واللسانية والاجتماعية، والتاريخ العربي بُني على المشافهة، إذ لا يفوتني هنا الإشارة إلى اعتماد معظم مناهج التعليم الحديثة في تعلم اللغات سواء كانت اللغة الأم أو اللغات الأجنبية على التركيز على السماع أولاً ثم المحادثة لتنمية المهارات التواصلية لدى المتعلمين و تهيئهم لبقية التعليمات.

ب- مبدأ التكرار: يقوم على الحفظ ، وهو مبدأ تعليمي نابع في الثقافة العربية الإسلامية والمنظومة التربوية تأسست على مبدأ التلقين. يقول ابن خلدون: « وهو

¹سهيلة مازة ، المنهج التعليمي الاستشراقي في فكر ابن خلدون ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ، 348.

²المقدمة لابن خلدون ، ص444

كما رأيت انما يحصل في ثلاث تكرارات و قد يحصل للبعض في أقل من ذلك حسب ما يخلق له وبتييسير عليه»¹.

ت - مبدأ الترسّيخ: يقوم على مبدأي السماع والتكرار ، حيث يقول ابن خلدون « وذلك أن الحذق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله ومالم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن المتناول حاصلًا وهذه الملكة هي في غير الفهم والوعي² »

ث - أنواع الملكات و علاقتها بالتعلم :تنوعت الملكات عند ابن خلدون حيث أنه ابن خلدون قال : «ألا ترى إلى أهل الحضر مع أهل البدو كيف تجد الحضريّ متحلّيًا بالذكاء ممتلئًا من الكيس حتّى إنّ البدويّ ليظنّه أنّه قد فاته في حقيقة إنسانيّته وعقله وليس كذلك. وما ذاك إلّا لإجادته في ملكات الصنّاع والآداب في العوائد والأحوال الحضريّة ما لا يعرفه البدويّ. فلمّا امتلأ الحضريّ من الصنّاع وملكاتها وحسن تعليمها ظنّ كلّ من قصّر عن تلك الملكات أنّها لكمال في عقله وأنّ نفوس أهل البدو قاصرة بفطرتها وجبّلّتها عن فطرته وليس كذلك. فإنّا نجد من أهل البدو من هو في أعلى رتبة من الفهم والكمال في عقله وفطرته إنّما الذي ظهر على أهل الحضر من ذلك هو رونق³ » ،إن تكوين أي مهارة جديدة (ملكة) يتطلب ترسيخ المهارة الأولى بعمق حتى تستوعب النفس جميع الاستعدادات اللازمة لها كما يوضح ابن خلدون في موضع آخر: « سبق الملكة الأولى ورسوخها في النفس، إلى حد تتملك فيه جوامع الاستعداد ومؤهلات القبول ، لأن الملكات صفات للنفس لا يمكن ازدحامها، ومن كان على الفطرة

¹المرجع نفسه ،ص444

² المرجع نفسه ،ص341.

³ المرجع نفسه ، ص574.

كان أسهل في تقبله للملكة.¹» ، فالملكات صفات نفسية لا يمكن أن تتزاحم في النفس الواحدة، لذلك يجب إتقان ملكة واحدة قبل الانتقال لأخرى، فالإنسان الذي يحافظ على فطرته الطبيعية دون تشويه بطرق تعليمية معقدة يكون أكثر استعداداً لاكتساب المهارات الجديدة. هذا يؤكد أهمية البساطة والطبيعية في التعلم المتدرج والمتسلسل.

ويلاحظ أنه تحدث عن اللغة كونها ملكة، أي أن « الملكة قد تكون ناقصة أحياناً ومكتملة أحياناً أخرى، تبعاً لمستوى الاكتساب والممارسة و المستوى التعليمي و ولهذا يقر ابن خلدون أن اللغة أي مجتمع هي نتاج للتعلم والممارسة، مما يجعلها شبيهة بالحرفة التي يُتقنها الإنسان بالتدريب و التكرار »² .

يرى "عبد العليم بوفتاح " أن ابن خلدون قد ميز بوضوح بين وظيفتين لغويتين: الوظيفة التعبيرية أي «الاستخدام الفعلي للغة في التواصل ، وظيفة ما وراء اللغة أي الحديث عن اللغة نفسها ، وهذه الأخيرة، أي الكلام عن قوانين الملكة اللسانية، هي ما عناه ابن خلدون بقوله: "علم بكيفية"، أي علم نظري يصف قواعد اللغة، لكنه لا يُكسب المتعلم القدرة على ممارستها بشكل تلقائي وسليم ، وهذا هو جوهر الفرق بين من يُجيد القواعد دون الأداء، وبين من يمتلك الملكة دون الإلمام بالقواعد ، كما يشير إنَّ تعليم اللغة يهدف إلى تكوين الملكة لدى المتعلم يجب أن يكون وسيلة لا غايةً في ذاته و أن اللغة هي أداة التواصل ووسيلة التفاهم، وليست معرفتها هي الغاية النهائية للمتعلم «.³ هذا يعني أن الملكة تُعرّف الموهبة بأنها صفة راسخة مكتسبة، وليست فطرية أو جماعية، بل تتشكل بالتكرار والممارسة حتى تصبح عادة هادية في الفكر والسلوك ، تتطور القدرات بالتدرج من الفعل إلى الكيف، ثم إلى

¹ كريمة بوكروش ، الملكة اللسانية في الفكر العربي القديم تنظير ابن خلدون نموذجاً ، مجلة اللسانيات تطبيقية ، المجلد 06 ، العدد 02 ،الجلفة الجزائر ، 2022 ،ص 350

² بن عليّة عبد السلام ،المرجع نفسه ، ص 124.

³ عبد العليم بوفتاح ، أهمية الملكة في تعليم اللغة عند ابن خلدون على ضوء النظرية اللسانية الحديثة، جامعة الأغواط عمار ثلجي ، جسور المعرفة ، العدد العاشر ، جوان 2017 ، 136.

حالة من عدم الاستقرار ومع التكرار، تستقر، مما يؤدي إلى الذكاء والمهارة واكتساب المعرفة، تتطور الموهبة بالتعلم المستمر إذا انقطع التكرار والتجربة، ضعفت أو تلاشت، بينما يتجدد نشاط التعلم بالتجدد، أما فيما يخص اللغة، فأن الاستماع الطبيعي في البيئة اللغوية هو الحاضن الأمثل للموهبة، أما في البيئة غير التقليدية، فيعتمد التعلم على الحفظ النوعي للنصوص الأصلية، مع فهمها وممارستها، ويمكن القول أنه تكمن العلاقة بين الملكة والتعلم في أن المتعلم لا يمكن أن يبلغ الإتقان إلا إذا طور مهارة في معرفته، هذه الملكة هي الأساس لاستيعاب المعرفة الجديدة وجعل الطالب أكثر قدرة على البحث والتأمل.

خلاصة :

وبناء على ما سبق يمكن القول أنّ عبد الرحمان بن خلدون بصفته مؤسساً لعلم الاجتماع ومجدداً في الفكر التربوي، قدّم تصوراً معرفياً وفلسفياً متكاملًا للتعلم، يُعد سابقاً لعصره من حيث العمق والتحليل المنهجي ، كما أنه ينطلق من أن الإنسان مدني بطبعه، لا يتحقق كماله إلا بالتعلم والتفاعل مع الآخرين وأن الفكر لا يتكوّن إلا من خلال الاحتكاك والتواصل بالمجتمع والخبرة العملية، لا من التأمل المجرد وحده، ما يعكس تأثره بالاتجاهات العقلانية من جهة، وبالنزعة الواقعية من جهة أخرى ، يعتمد ابن خلدون على الحس والتجربة والعقل كأسس رئيسة، مؤكداً أن المعرفة تبدأ بالحواس، ثم تتدرج إلى التجربة، فالفهم العقلي، ومن هنا يتشكل عند المتعلم ما يسميه بـ"الملكة" ، وهذه الملكة هي الركيزة الأساسية في نظريته التربوية، إذ يُعرّفها بأنها صفة راسخة في النفس تُكتسب بالتدرب والممارسة والتكرار، وليست مجرد حفظ للمعلومات أو تراكم للمعارف النظرية.

الفصل الثاني: نظرية الاكتساب والتعلم عند ابن خلدون

تمهيد :

يشغل مفهوم التعلم والاكتساب مكانة متميزة في الفكر المعرفي والتربوي عند ابن خلدون، حيث يُنظر إليهما بوصفهما عمليتين متكاملتين تؤسسان لتكوين الملكات وبناء المعارف لدى الإنسان، فبالنسبة له أن الإنسان لا يولد عالمًا، بل يُولد قابلاً للتعلم، حاملاً استعدادات فطرية لذلك، وأن كل علم أو صنعة لا تُنال إلا بالاكتساب عبر التجربة والخبرة، ومن هذا المنظور، يربط ابن خلدون بين التعلم والاكتساب وتفعيل العقل ضمن سياق اجتماعي وثقافي معين، ما يجعل تصوره للتربية والتعليم قائماً على الفعل والممارسة لا على التلقين.

المبحث الأول : قواعد التعلم عند ابن خلدون و العوامل المؤثرة فيه

1. حقيقة التعلم عند ابن خلدون :

يرى ابن خلدون أن التعلم يتجاوز مجرد تراكم للمعارف ليصبح عملية بناء محكم البناء لقدرات عقلية وسلوكية راسخة، هذه القدرات ليست كلها فطرية، بل تُكتسب من خلال مجموعة من السلوكيات كالترار والتدرج والممارسة، بحيث يبدأ المتعلم باستيعاب المادة تدريجياً، أولاً بالتبسيط، مع تحفيز الحواس وتوظيف الأمثلة الحسية الممكنة لتهيئته للفهم، ثم يعيد المعلم عرض المعرفة مرتين، في المرة الثانية يُوسّع الشرح ويوضح الفروق، وفي الثالثة يُزيل أي غموض متبقٍ، حتى يصل المتعلم إلى مستوى من الإتقان والتمكن، وهذا الإتقان هو سمة مادية مكتسبة لكل من النفس والعقل، تنشأ من تكرار الفعل حتى يصبح عادة لاشعورية قريبة من الفطرة، وهنا أنه إلى أن مفكرنا كان سباقاً في استنباط الأسس التربوية والمنهجيات السليمة الضرورية في تثبيت التعليمات، وتعزيز المكتسبات التي تنادي بها المناهج الحديثة، وما سنوردها من نصوص منسوبة إليه يدل على ذلك، حيث يقول في

مقدمته : « قدرة جودة التعليم و ملكة المتعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة وحصول ملكته، ثم إن الصنائع منها البسيطة ومنها المركب البسيط هو الذي يختص بالضرورة هو الذي يكون للكماليات والمتقدم منها في التعليم البسيط لبساطته »¹.

وفي نظره أن العلم يحتاج للممارسة بحيث أنه يرى أن النفس البشرية لديها القدرة على التعلم وهو ما يسميه (الوجود بالقوة)وعليه فان ابن خلدون يقر بالوجود بالقوة انما يحصل في أزمان وأجيال إذخروج الأشياء من القوة الى الفعل على أنه الاستعداد الطبيعي أو الذهني لفعل شيء كالكتابة، الفهم دون تحقيقه فعليًا وأن الوجود بالفعل ، تحقق الصفة أو المهارة في النفس بشكل دائم ومستقر أي أنها أصبحت ملكة، إضافة الى ذلك فهو يشير في فصل من مقدمته الى أن التعليم للعلم من جملة الصنائع بحيث أنه يتحدث فيه حول الملكة و كيفية حصولها وذلك في قوله : « وذلك أن الحذق في العلم والتقن فيه والاستيلاء عليه إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله ومالم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن المتناول حاصلًا وهذه الملكة هي في غير الفهم والوعي²»يعنيان تعليم العلم صناعة جوهر الملكة الحقيقية فالملكة عنده ليست مجرد فهم نظري أو وعي بعلم، بل هي حالة راسخة في النفس أو العقل، تنشأ من التكرار العملي وتصبح صفة دائمة ، لا يكفي فهم الشخص ووعيه بمسألة واحدة ليكون بارعًا في فن أو علم متخصص، فالفهم مشترك بين المبتدئين والعوام والخبراء، بينما المهارة تميز المتعلم أو الصانع الحاذق في صنعته كما أن ذلك يتطلب بناء المهارة ممارسة عميقة ذلك من خلال أن القدرة على استيعاب المبادئ والأصول، وتحويلها إلى قدرة على استنباط الفروع والتعمق في التفاصيل، تتطلب انشغالاً مستمرًا وعميقًا بالمعرفة، وهذا سر المهارة والفن الحقيقي، لا مجرد الحفظ أو الفهم النظري كما أن الملكة ليست فطرية، بل مكتسبة بالممارسة وهي ليست

¹المقدمة لابن خلدون ،المرجع نفسه،ص317.

²المقدمة لابن خلدون ،ص341.

موهبة أو فطرية، بل هي ثمرة جهد منهجي وممارسة متكررة قد تكون موجودة في كل من الجسم والعقل» الملكة صفة راسخة¹.

2. القواعد التربوية و التعليمية عند ابن خلدون :

يرى ابن خلدون أن التعليم صناعة وفن وتختلف أساليب تطبيقه باختلاف المعلمين والتخصصات ، فبينما أساس المعرفة واحد، إلا أن التعليم يتنوع بتنوع المعلم و فكره ومهاراته والبيئة التي نشأ فيها ، فهو يدعو إلى تجنب الإفراط في الحشو والاختصارات المخلة بالمعنى، محذراً من أن ذلك يُضعف الفهم ويُربك ذهن المتعلم كما أنه قد حث على التدرج بدءاً من المُبسّط العام أو المجمل، ثم المُفصل التوضيحي أو المفسر، ثم المُختصر المُتقن، حتى الوصول إلى الملكة الجزئية « إلى أن الفعل بالاستتباط شيئاً فشيئاً على التدرج حتى تكمل ولا يحصل ذلك دفعة وانما يحصل في أزمان وأجيال اذ خروج الأشياء من القوة الى الفعل لا يكون دفعة لاسيما في الأمور الصناعية فلا بد له اذن من زمان ولهذا تجد الصنائع في الأمصار الصغيرة ناقصة ولا يوجد الا البسيط فاذا تزايدت حضارتها ودعت² ، ويمكن القول أن مراحل التعليم بالنسبة له هي التمهيد "المبسّط" وهو عرض عام يشمل مواضيع أساسية مع مقدمات مع أمثلة، بعيداً عن التعقيد ، ثم التعمق وهو شرح مفصل لكل جوانب المادة بشكر مجزئ وذلك باستعمال طرق مختلفة لإيصال الفكرة مع توظيف الأدلة ومناقشتها ، ثم التثبيت وهو مراجعة شاملة، مع تكرار وذلك لإزالة الشبهات والتعقيدات لضمان الفهم وإيصال المعلومة للمتلقي ، فابن خلدون هنا حينما يتحدث عن التدرج لتحقيق الملكة فكأنما هو يشير إلى ما يسمى بمستويات بناء الكفاءة الذي يتم على مراحل ممتدة مخطط لها ضمن المنهاج الدراسي.

¹المرجع نفسه ، ص317.

²المقدمة لابن خلدون ، ص317

كما تشير سهيلة مازة في نفس السياق الى واحدة من أهم الطرق التي نبه اليها ابن خلدون وهي « أن لتبسيط موضوع الدرس وترسيخه في الذهن لدى المتعلم لا بد من استعمال وسائل الإيضاح أو ضرب الأمثال لتوضيح القصد والغاية من الدرس، وهذا ما وصلت إليه التربية الحديثة¹ » كما أنها وضحت فكرة أخرى عند ابن خلدون وهي « تفضيله المشاهدة على الخبر، أي على المعلم أن لا يدلي لتلاميذه بأخبار فقط، ولكن عليه أن يعرض عليهم آثار الأخبار، أي أن التعلم الأجود يعتمد على التعليم النظري والعملي² ». أي أنه من الضروري الاستشهاد بالأمثلة الملموسة قبل الخطاب المجرد، لتقريب المفاهيم إلى الذهن والفكر وأنه استخدام ما هو ملموس لتقريب الفهم للمتعلم كضرورة توظيف الوسيلة التعليمية في مرحلة التعليم الابتدائي في المواد اللغوية (الصور والمشاهد) والمواد العلمية مثل (الاعتماد على وسائل ملموسة ومحسوسة في العد والحساب لبناء مفهوم العدد بما يناسب متعلما في مرحلة الطفولة) ، كما أنه يُشدد على مراعاة الاستعداد الذهني والنفسي للمتعلم، وتجنب الشدة المفرطة أو التعقيد المُتسرع ، ونبه أيضا الى تجنب خلط العلوم والفنون في الدراسة الأولية، بحيث أنه يرى أنه يُشتت الذهن ويُضعف الفهم ، كذلك حث على تجنب إجبار الطلاب على حفظ ما لا يفهمونه؛ لأن ذلك يُؤدّ التعب والملل، ويُؤذي نفسية المتعلم .

✓ التدرج في تحصيل العلوم :

اعتنى ابن خلدون بمفهوم التدرج في العلوم بحيث وتحدث عن أهميته في أكثر من موضع، إذ يذكر في ثنايا المقدمة ما يلي : « تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا إذا كان على التدرج شيئا فشيئا وقليلًا قليلًا³ ». يُقدم ابن خلدون نصيحة تربوية مهمة جداً وهي أن تعليم العلوم للطلاب لا يكون مفيداً إلا إذا سار على مبدأ التدرج البطيء والتدريجي. فبدلاً

¹ سهيلة مازة ، المنهج التعليمي الاستشراقي في فكر ابن خلدون ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ، 348.

² سهيلة مازة ، مرجع نفسه، 348.

³ المقدمة لابن خلدون ، المرجع نفسه، ص443

من إعطاء الطالب كمية كبيرة من المعلومات دفعة واحدة، يجب تقديم المعرفة "شيئاً فشيئاً" وقليلًا قليلًا" حتى يتمكن عقل الطالب من فهمها وهضمها بشكل صحيح. هذا التدرج يسمح للطالب ببناء مفاهيم قوية للأساسيات قبل الانتقال إلى المستويات الأكثر تعقيداً وصعوبة. إن التسرع في التعليم وإغراق الطالب بالمعارف الكثيرة يؤدي إلى تشويش الذهن وعدم الفهم الحقيقي. لذلك على المعلم أن يتحلى بالصبر ويتدرج مع طلابه، مراعيًا قدراتهم الفهم استيعاب المعلومات ومستوى نضجهم العقلي. هذا المبدأ التعليمي الذي طرحه ابن خلدون منذ زمن ليس بالقصير يتوافق مع ما خلصت إليه علوم التربية الحديثة حول أهمية التعلم التدريجي المبني على أسس متينة. وبهذا يضمن المعلم تكوين ملكة حقيقية لدى الطالب بدلاً من مجرد حشو المعلومات في ذهنه. «وهو كما رأيت إنما يحصل في ثلاث تكرارات و قد يحصل للبعض في أقل من ذلك حسب ما يخلق له وبتييسير عليه»¹ بشكل تدريجي من العام إلى التفصيل، ثم معالجة كل المسائل الصعبة والمبهمة في نظر المتلقي ، حتى يصل الى مرحلة «استولى على ملكته هذا وجه التعلم المفيد»²، وعليه يمكن القول أن التدرج يستلزم تبسيط المحتوى و ذلك من خلال البدء بالبسيط الى المركب كذلك البدء بالجانب النظري ثم الى ما هو تطبيقي ، إضافة الى المراعاة القدرات والفروق العقلية والنفسية وذلك من خلال تقييم القدرة الفكرية للطالب وتجنب الإرهاق أو الإحباط الناتج عن دخول في مسائل أو دروس صعبة ، إضافة الى ذلك عدم الخلط العلوم وضرورة التركيز على علم واحد في كل مرة دون إدخال علم آخر، لتقادي التشتت الذهني ، مع التكرار للديمومة و التذكير بالمعارف تثبتت فقط من خلال التكرار المنهجي، وتوظيف الأمثلة العملية والتطبيق «وعلى سبيل التقريب والاجمال وبالأمثال الحسية ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلا قليلا بمخالفة مسائل الفن وتكرارها عليه والانتقال فيها من التقريب الى الاستيعاب الذي

¹ ،المرجع نفسه،ص444

² المرجع نفسه ،ص444

فوقه»¹. كونها تمهد المفاهيم باستخدام التجريب والأمثلة الواقعية، لربط المعرفة بالعالم الحسي ، كما يصف "طارق ثابت" التدرج في التعليم على أنه «أمر طبيعي يتماشى مع طبيعة الاكتساب اللغوي نفسه، لذلك لزم أخذ هذا العامل بعين الاعتبار مع مراعاة السهولة، والانتقال من العام إلى الخاص وتواتر المفردات»². ويستشهد بقول ابن خلدون " اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدرج شيئاً فشيئاً، وقليلًا قليلًا " وفي نظر طارق ثابت« أن ابن خلدون يعني من خلال هذا القول أن يكون كل علم تمهيداً لما سيأتي بعده»³، إضافة إلى ذلك فقد أشارت "سهيلة مازة" إلى الموضوع نفسه حيث تقول أنه : « قد انتهت نظريات التعلم الحديثة إلى هذه الحقيقة العلمية "مبدأ التدرج"، واعتبرته المدخل الهرمي الذي وصفه روبيرت جانييه من أبرز وأهم مداخل تنظيم المحتوى، حيث يتم تنظيم محتوى المقرر على شكل هرمي تدرجي يبدأ بالمستوى الأبسط إلى الأكثر تركيباً وتعقيداً، والتدرج في تعليم اللغة أمر طبيعي يتماشى مع طبيعة الاكتساب اللغوي نفسه، لذلك لزم أخذ هنا العامل بعين الاعتبار مع مراعاة السهولة، والانتقال من العام إلى الخاص وتواتر المفردات»، وتشير إلى أن : « ابن خلدون قد تفتن إلى هذه الناحية التربوية الهامة عند ما قال: اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدرج شيئاً فشيئاً وقليلًا ، يُلقى عليه أولاً المسائل من كل باب من الفن، هي أصول ذلك الباب، ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم.»⁴

¹المقدمة لابن خلدون ،المرجع نفسه، ص444.

²طارق ثابت ، الاكتساب اللغوي و قضاياها عند ابن خلدون ، كلية الأدب في جامعة النجاح الوطني فلسطين ، المؤتمر العلمي الدولي ابن خلدون علامة الشرق و الغرب ، أكتوبر تشرين الأول 2012، ص 7

³طارق ثابت ،المرجع نفسه، ، ص 7.

⁴ سهيلة مازة ، المنهج التعليمي الاستشراقي في فكر ابن خلدون ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ، 346.

✓ الممارسة و التكرار :

يؤكد ابن خلدون على أهمية التكرار والممارسة في التعلم، فهو يرى أن الإنسان يحتاج إلى إعادة المعلومة مرة تلو الأخرى حتى ترسخ في عقله وتصبح جزءاً من قدراته، هذا التكرار ليس مجرد حفظ آلي أو عادة، بل هو عملية تتم بكثير من الوعي والإدراك تساعد على صقل الملكة عند المتعلم، كما يذكر أن المعلومة تحتاج عادة إلى التكرار ثلاث مرات لكي يستوعبها المتعلم بشكل كامل، إلا أن ابن خلدون كان مدركاً بفطنته إلى أن الناس مختلفون في قدراتهم، فبعضهم يفهم من المرة الأولى، وبعضهم يحتاج أكثر من ثلاث مرات، كما يؤكد على أهمية التدرج في التعليم، حيث يبدأ المعلم بالأصول العامة والمبادئ الأساسية، ثم ينتقل تدريجياً إلى التفاصيل الدقيقة والجزئيات المعقدة، وخلال هذه العملية، يستعين المعلم بالأمثلة الحسية والواقعية التي تقرب المفاهيم المجردة إلى أذهان المتعلمين، مما يجعل عملية التعلم أكثر فعالية وأقل صعوبة، حيث يقول: « يتدرج قليلاً قليلاً بمخالفة مسائل الفن وتكرارها عليه والانتقال فيها من التقريب إلى الاستيعاب الذي فوقه»¹، حتى يصل المتعلم إلى مرحلة الاستيلاء الكامل على المادة العلمية ولا يكتفي بتكرار الشرح كما هو ولكن يُعيد المادة كل مرة مع تفصيل أعمق تهئ المتعلم للجلوس في مرتبة أعلى من الفهم « وهو كما رأيت انما يحصل في ثلاث تكرارات وقد يحصل في أقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه»²، إضافة إلى ذلك أن الملكة أولاً صفة مؤقتة ثم بزيادة التكرار تستقر ملكة راسخة ويفسر هذه المرحلة النفسية بأن النفس لا تستحسن علماً دفعة واحدة، بل تحتاج إلى أن تألفه شيئاً فشيئاً، فتتولد لديها القدرة ثم تتحول إلى طبيعة داخلية، فتتحول اللغة أو العلم إلى ملكة تزيد الذكاء والحدق والسكينة، كما أنه يشير إلى الملّنين الذين لا يتقنون مهنتهم حيث يقول: «وقد شاهدنا كثيراً من المعلمين لهذا العهد الذي أدركنا يجهلون طرق التعليم وافادته ويحضرون المتعلم في أول تعليمه المسائل المعقدة من العلم ويطالبونه بإحضار ذهنه في حلها و

¹المقدمة لابن خلدون ،المرجع نفسه، ص444

²المرجع نفسه، ص444

يحسبون ذلك مرانا على التعليم.¹ وهو يرفض الخلط بين علم وآخر لأنه يضعف ملكة التعلم ويبعثر ملكة المتعلم، كما يحذر من إطالة زمن الجلسات كثيرا، لما يؤديه الى ملل المتلقي وتركيزه وهو خلط يحول دون الاستمرارية الدقيقة التي ينبغي عليها اكتساب الملكة وتشكلها، «ولا ينبغي للمعلم أن يزيد متعلمه على فهم كتابه الذي أكب على التعلم منه بحسب طاقته وعلى نسبة قبوله للتعليم مبتدئا كان أو منتهيا ولا يخلط مسائل بغيرها.»² ولأن الملكة عنده ليست مجموع معارف فقط، بل قدرة مكتسبة ملموسة وطويلة الأمد، فهو لا يكتفي بالحفظ النظري بل يشدد على المحاور والمناظرة والبناء العملي داخل المجتمع التربوي « لان الملكات انما تحصل بتتابع الفعل و تكراره و إذا تنوسي الفعل تنوسيت الملكة الناشئة عنه .»³، ويمكن القول أن ابن خلدون أن يرى أن كل من التكرار الحكيم، والممارسة المتواصلة، وعدم خلط العلوم، وتطبيق الكلام الحقيقي في سياق حوار، تتحد كلها لتبني عند المتعلم ملكة تثبت في روحه وتستقر في عقله حتى تبدو فطرية.

✓ التشويق و التحفيز :

وبالنسبة له أنه كل من التشويق والتحفيز يشكلان دافعين في إيقاظ رغبة المتعلم واستمراريته، فهو يدرك أن الحرص على إثارة الفضول العقلي لدى الطالب يعزز قدرته على الفهم والتعمق ، ذلك أنه أوصى بضرورة تقديم المعلم المادة " شيئا فشيئا، و قليلا قليلا " ، بحيث يبدأ بمسائل بسيطة ومألوفة لدى المتعلم، ثم ينتقل تدريجيا إلى ما هو أكثر تعقيدا، ما يحقق تدرجا منطقيا يراعي قوة الاستيعاب ويمنع الإحباط . وعند هذا التمهيد يعتمد المعلم إلى إشراك الطالب في النقاش والحوار، وحل المشكلات بنفسه، حتى يشعر بأن العلم ملكه، كما أنه نبه إلى أهمية الوضوح واللغة السهلة كأدوات تحفيزية، حيث يقول « وإذا خلط عليه الأمر عجز عن الفهم و أدركه الكلال و انطمس فطره و يئس من التحصيل و هجر العلم

¹ المرجع نفسه، ص444

² المرجع نفسه، ص444

³ المرجع نفسه، ص445

والتعليم و الله يهدي من يشاء.»¹ ، فهو يحث على استخدام المحسوسات والأمثلة الحقيقية قبل الغوص في المجردات العقلية، لأن النفس تشعر بالألفة والسرور عند إدراك الفكرة أولاً عبر الحواس ، ويشدد على أنه لا يجوز إلقاء المسائل المقلدة والمعقدة على المتعلم في بداية الأمر، لأن ذلك يقتل الحافز ويشيع بينه القنوط والملل، أي أنه يستشرف بنباهته المعهودة إمكانية الملل والكلال واليأس ذلك لانعدام التحفيز وخط الأمور عليه ما يدفعه الى التفكير في الانسحاب من التعليم والانقطاع عن التعلم ، إضافة الى ذلك فان ابن خلدون يشير أن المعلم الناجح هو المرجع المحفز والموجه ومحور أساسي في العملية التعليمية في المناهج الحديثة ، لا مجرد ناقل، فيطلع بمهمة تحفيز التفكير والإبداع بدلاً من الاكتفاء بالتلقين والحفظ الآلي ، ولإبقاء التلاميذ في حالة نشاط ذهني وحضور مؤثر، كما أنه يؤكد على فكرة تنويع طرق التعليم كالمناقشات الجماعية، والمحاورة، والتطبيق العملي داخل السياقات الحياتية، مما يعمق الإحساس بمتعة التعلم ويحفز الطالب على الاستمرارية، ويعتبر التشويق أداة تحفيزية إضافية، ذلك لمواصلة المتعلم تعلمه ، مع كشف الجوانب الغامضة، تزيد من إحساس المتعلم بالتمكن والثقة، وهو ما يعزز الحافز الداخلي لديه كما يشدد على تجنب ضغط الحشو ، لأن طول الجلسات وفصلها يعطل تدفق الفكر ويضعف الهمة فتتأخر دوافع الطالب وتضيع الملكة، يتجلى عملياً هذا المنهج عند توصية ابن خلدون بالإفادة من التجارب والرحلات والتنوع في مصادر التعلم، لأن اكتشاف الجديد وتبادل الخبرات يجنب الجمود الفكري ويغذي حب المعرفة داخل النفس المتعلمة ،ومن بين أبرز أشكال التشويق، يعترف بأهمية دور اللغة والأدب، لا بوصفهما مواد جامدة كما يعتقد البعض، بل كنوافذ تفاعلية مع المتعلم وتغمره بمتعة التعبير والإبداع اللغوي، ما يجعله يشعر بالفخر والانسجام مع اللغة ، أما في المناهج الحديثة فينظر للمجال الوجداني كمؤثر فعال في عمليتي التعلم والاكتساب وهو يشمل المشاعر والقيم، والاتجاهات التي تؤثر على سلوك المتعلم. وتلعب

¹المقدمة لابن خلدون ، ص444

دورًا حيويًا في تحفيز الدافعية وتحسين الأداء الأكاديمي من خلال تعزيز التفاعل الاجتماعي، فمن المهم خلق بيئة تعليمية إيجابية تشجع التعبير عن المشاعر وتنمي مهارات التعاون، يعزز هذا المجال من الصحة النفسية ويساهم في بناء شخصية متوازنة.

3. العوامل المؤثرة في التعلم عند ابن خلدون :

يرى ابن خلدون أن التعليم ليس عملية جمع للمعلومات بل عملية دقيقة تتأثر بعدة عوامل داخلية أو خارجية عدة منها النفسية والعقلية والفسولوجية والاجتماعية ،ومن أهم هذه العوامل التي يمكن أن تؤثر على التعلم في نظره نجد قدرة المتعلم على الاستيعاب، فلا يُلقى عليه العلم دفعةً أو أُلغازًا معقدة، بل يبدأ معه تدريجيًا كما ذكرنا سابقًا بما يتناسب مع مستواه ومقدار استعداده العقلي، أي أنه ينبغي أخذ بعين الاعتبار الفروق النفسية والمواهب و القدرات لدى كل متعلم ، إضافة إلى ذلك قدرة كل متعلم على الاستيعاب ومدى صبره وتحمله ، فإذا تجاوز المعلم هذا الحد فإن المتعلم يُصيب بالتعب، وتختلط عليه الأمور ويفقد الدافع، وتتحول العملية من اكتساب الملكة إلى إرهاقٍ ونفور من التعلم وهذا دائمًا مرتبط بفكرة التدرّج ، أي تقديم المعارف من الجزء إلى الكل ومن البسيط إلى المعقد، ومن العملي إلى النظري، وبهذا يحيا العقل على إيقاع نمائه الطبيعي، وتتحقق خاصية التملك والبناء المعرفي المتماسك للمادة ويدعم ذلك عامل التكرار المتدرّج، عمودًا أساسيا في المنهج، « اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين انما يكون مفيدا اذا كان على التدرّج شيئا فشيئا»¹، إذ يكسب المتعلم ملكة متينة عندما تُكرّر المادة ثلاث مرات، الأولى إجمالاً لتهيأ المتعلم، والثانية توسعًا وتقصيلاً، والثالثة توثيقًا وإزالة للغوامض ولا يمكن فصل التعلم عن حوار المتعلم والمعلم، فالمناقشة والتطبيق والدخول في نقاش أو مناظرة يوقظ الذهن، ويقوّي القدرة على التعبير « وأيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرامها فتجد طالب العلم والتعليم بعد التحصيل من يرى منهم أنه

¹ المرجع نفسه، ص443

قد حصل تجد ملكته قاصرة في علمه «¹، ويجعل الطالب عنصر فاعلاً في صنع المعرفة ، وينبغي أن تراعي المادة العلمية جودةً ومحتوىً ومناسبةً، ففي سنوات التعليم الأولى يجب أن تكون الأمور بسيطة وملموسة، مع تجنب العمليات المجردة مراعاة للتسلسل ، ويُعد عامل النمو العقلي والجسدي والنفسي شرطاً لتلقي المعرفة، فالعقل يحتاج للنضج والتأني قبل أن يتمكن من استيعاب الموضوع المعروض، ويُشير إلى ضرورة الانتباه لحالة المتعلم الجسدية وتوجيهه بما يلائمه ،إضافة الى ذلك يشير الى فكرة أخرى حيث يقول ابن خلدون : « و من المذاهب الجميلة وطرق الواجبة في التعليم أن لا يخلط على المتعلم علماً معاً فإنه حينئذ قل أن يظفر بواحد منهما «²أي أن عدم الخلط بين علوم متعددة يساعد المتعلم على تحقيق ملكته في واحد منها قبل انتقاله إلى غيره، لأن الخلط يشتت الذهن ويضعف قدرة الفهم، أما التركيز فيثمر الثقة والحافز لاستكمال التعلم ، ومما يعارضه ابن خلدون بقوة هو الشدة والقسوة في التعليم، لأن ذلك يكسر روح المتعلم، ويولد خوفاً وكسلاً وكذباً، ويقضي على الحافز الداخلي، وقد وصف هذا الأسلوب بأنه يؤدي إلى "سوء الملكة" و"فساد المناخ التربوي" ، «و ذلك أن ارهاف الحد في التعلم مضر بالمتعلم سيما في أصاغر الولدان لأنه من سوء الملكة ومن كان مرباه بالعنف والقهر من المتعلمين.»³ بالإضافة إلى ذلك، يرى أن الإغراق في العلوم الآلية بلا فائدة يُهدر وقت المتعلم ثم ينسيه الهدف، ويؤثر سلباً على إقباله للعلم؛ لذا عليه التركيز على العلوم المقصودة وتحقيق فهم متين فيها ، وعليه تتصل العوامل المؤثرة عنده بدوافع النفس وتنظيم العقل وتفاعل البيئة التعليمية، فينادي بزيادة التعلم الممنهج ، الذي يؤسس لعلاقة سليمة بين المعلم والمتعلم ،تهياً هذا المتلقي كأرض خصبة وروح متعطشة للمعرفة الحقيقية يجمع ، لا مجرد الحفظ السطحي أو النجاح المؤقت.

¹المرجع نفسه ، ص342

² المرجع نفسه، ص345

³ المرجع نفسه، ص349.

المبحث الثاني : طرق و مراحل التعلم عند ابن خلدون

1. طرق التعلم عند ابن خلدون:

اشار ابن خلدون الى عدة طرق للتعلم يمكن حصرها فيما يلي:

✓ التعلم بالتقليد و المحاكاة :

تناول ابن خلدون طريقة التعلم بالتقليد والمحاكاة حيث نجد أنه يرى فيها ضرورة لتكوين الملكات المعرفية والأخلاقية لدى المتعلم، فهي تبدأ بعملية تلقين مباشر تتيح للمتعلّم الاقتداء بالمقلّدين والمشايخ والنماذج المثالية، ما يسرع بذلك عملية التعلّم مقارنة بالمحاولة الفردية والتفكير الذاتي « البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم ، تارة تعليمًا وإلقاءً، وتارة محاكاةً وتلقيًا بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن طريق المباشرة والتلقين أشد استحكامًا ورسوخًا " ولا يحصل ذلك دفعة وإنما يحصل في أزمان وأجيال اذ خروج الأشياء من القوة الى الفعل.»¹ويمكن القول التقليد ليس انحيازًا سطحيًا بل هو وسيلة منهجية لبناء الملكات، فعند تقليد المعلم أو الخبير، يستفيد المتعلّم من خبرة متراكمة لا تُكتسب بسهولة عبر القراءة أو النظريات المجردة إضافة الى ذلك يرى ابن خلدون أن التقليد يسهم في توفير الجهد والوقت المبذول في التجربة والخطأ، خاصة في المجالات العملية و المهارات، فتتشكل الملكة أسرع وأمتن ، فكلما اقتدى المتعلّم بنماذج أكثر تنوعًا فيما بينهم، خاصة في العلم والمهارة، يتكوّن لديه فهم أعمق وأشمل ،وقد ركز ابن خلدون على هذا المفهوم ليس فقط على مستوى الفرد بل على مستوى الجماعات، حيث أشار في فصل أن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحته وسائر أحواله وعوائده حين يؤكد أن التقليد عريق في بني الإنسان ومتأصل فيهم، وهو آلية للمحافظة على العادات والقيم، بالاستناد إلى مشهدي الغالب والمغلوب حيث يقول « والسبب في ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال فيمن غلبها وانتقادات

¹ المرجع نفسه ، ص317.

اليه أما لنظره بالكمال بما قر عنها من تعظيمه أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي انما لكمال الغالب»¹ فالنقليد بالنسبة له بمثابة تغذية الاستمرارية الحضارية حين يقاد الفرد من نجاح في بنائه من الخلق والعلم والسلوك من أسلافه وأقرانه الناجحين ، ويمكن القول أن دور النقليد يظهر في أن المتعلم يكتسب قواعدا من خلال الاستماع والحفظ، ثم محاكاتها في بيئة لغوية مناسبة حتى تصبح ملكة لغوية ويُسرّع النقليد بتشكيل ملكة لغوية تستقر تدريجياً حتى تظهر كأنها فطرة طبيعية لدى المتكلم ، وعلى سبيل المثال فالاستماع والمحاكاة في البيئة اللغوية يُشكلان مدخلاً فعالاً لاكتساب اللغة كما يُعزز هذا الأساس بالحفظ العميق للنصوص العربية الفصحى كالقرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر، وهذا أن النقليد والمحاكاة مع زيادة التكرار، تجعل العلم راسخاً كملكة فعالة قادرة على الفعل والإبداع، مما يثبت مهارة المتعلم وذكائه ، وعليه فان هذا الأخير هو أساس بناء الملكة المعرفية والأخلاقية، ويشكل المرحلة التأسيسية للاستفادة من خبرات الأسلاف دون الاضطرار لتجربة كل شيء من جديد، مما يدعم تطوير الثقافة والمهارة بشكل فعال ومنهجي.

✓ التعلم بالممارسة و الخبرة :

في نظر ابن خلدون الملكات ليست مجرد معارف نظرية بل هي قيم راسخة في النفس تنتج عن الممارسة والتكرار ، وهي تتكوّن تدريجياً بالفعل المتكرر، فتبدأ حالة غير راسخة ثم تتحوّل إلى سمة ثابتة ، فهو يرى أن « فلها كانت الحنكة في التجربة تفيد عقلا والملكات الصناعية تفيد عقلا والحضارة الكاملة تفيد عقلا لأنها مجتمعة من صنائع في شأن تدبير المنزل ومعاشرة أبناء الجنس وتحصيل الآداب في مخالطتهم .»² كذلك أن « العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلًا وتعلِيمًا هي على صنفين صنف

¹ المرجع نفسه، ص116.

² المرجع نفسه ، ص340.

طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره وصنف نقلي يأخذه عن وضعه والأول هي العلوم الحكيمة الفلسفية وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره والثانية هي العلوم النقلية الوضعية وهي كلها مستندة الى الخبر عن الوضع الشرعي.¹

وعليه فهو يؤكد أن الملكة تختلف عن الفهم، فهي تتجاوز مجرد الوعي لتصبح جزءاً من طبيعة المتعلم في التعلم المفيد، وأن الإنسان عندما يرغب في تحصيل علم جديد فانه يعود الى من سبقه في هذا العلم أي ذوي الخبرة والعلم ويأخذ عنهم العلم ليطور من حيث انتهوا إليه ذاته ، حيث يقول أن « يكون الفكر راغبا في تحصيل ما ليس عنده من الادراكات فيرجع الى من سبقه بعلم أو زاد عليه بمعرفة أو ادراك أو اخذ ممن تقدمه من الأنبياء الذين يبلغونه لمن تلقاه فيلقن ذلك عنهم ويحرص على أخذه وعلمه ثم ان فكره ونظره يتوجه الى واحد من الحقائق.»² وهذا يدل على أن الخبرة السابقة تهئ الذهن لاستقبال المزيد دون عناء متكرر، وأن الخبرة تُكسب النفس قوة على الاستمرار في التعلم والسعي نحو الكمال العلمي إن صح التعبير وأن الممارسة ليست فقط لتكرار الفعل، بل لفهم أعمق وتحليل الأدلة والبراهين عملياً ، وفي اللغات يمنح التكرار للسيطرة على التراكيب وسرعة تعبير عالية الأداء، وحتى العلوم العقلية والأدبية والأخلاقية تُبنى عبر ممارسة واعية وتكرار منهجي .

✓ التعلم بالحوار و المناقشة :

لقد أثار ابن خلدون في سياق حديثه عن أنجع طرائق التعلم والاكتساب أهمية الحوار والمناقشة في فصل أن التعليم للعلم من جملة الصنائع حيث يربط بين الحوار والمناظرة وبين ترسيخ ملكة العلم، معتبراً أنهما أيسر طرق هذه الملكة لأنهما يفتحان الباب لتفعيل الفهم لا الحفظ فقط ، كما يرى أن أثر التلقين الجاف بدون نقاش مآله الجمود الفكري وضيق أفق المتعلم، فيحول دون أن يستقل بفكره في الدفاع عن رأيه حيث يلجّ على أهمية محاوره

¹ المرجع نفسه ، ص341.

² المرجع نفسه ، ص340.

المتعلم بالسؤال والجواب، فالحوار يُكسب المتعلم ملكة التصرف في العلم وذلك في قوله: «وأيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاوره و المناظرة في المسائل العلمية فهو الذي يقرب شأنها و يحصل مرامها فتجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون ولا يفاوضون وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم و التعليم ثم بعد تحصيل من يرى منهم أنه قد حصل نجد ملكته قاصرة في علمه أن فاوض أو ناظر أو علم و ما أتاها القصور الا من قبل التعليم وانقطاع يسنده والا فحفظهم أبلغ من حفظ سواهم .¹ فهو ينتقد من يكتفون بالصمت في مجالس العلم، رغم حفظهم الكثير من المعلومات، فلا يُستفاد منهم في التصرف أو المناقشة ، ويؤكد أنها تكشف عمق الفهم أو سطحيته وسذاجته، لأنها تتطلب استدلالاً دقيقاً وتبريراً منطقيًا للآراء كما ينبّه إلى أن فن الحوار له آداب وضوابط يجب التمسك بها: أن يكون النقاش مفتوحًا للمراجعة والقبول، وليس فرضًا للمغالطة أو التماذي في الدفاع الجاهز، ويربط بين المناظرة الصحيحة وعلم المناظرة الذي وضعه الأئمة لتنظيم حوار العقلاء بخلق تربوي حضاري ويرفض أن تبدأ الحصة بطرح مسائل مغلقة وألغاز محيرة، لأن هذا يربك المتعلم ويُضعف القدرة على المناقشة العقلانية ، يعتبر أن الاستعداد الروحي والعقلي للمتعلم شرط لا بدّ منه قبل الدخول في النقاشات، لا أن يُحمّل فوق طاقته مباشرة فيقول «والانتقال فيها من التقريب الى الاستيعاب الذي فوقه حتى تتم الملكة في الاستعداد قم التحصيل ويحيط هو بمسائل الفن واذا أُلقيت عليه الغايات في البدايات وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعي وبعيد عن الاستعداد له كل ذهنه عنها وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه فتتكاسل عنه وانحرف عن قبوله وتماذي في هجرانه وانما أتى ذلك من سوء التعليم ولا ينبغي للمعلم أن يزيد متعلمه على فهم كتاب الذي أكب.² ويرسخ ابن خلدون مبدأ التدرج في المناقشة، بأن تبدأ بالمحاوره، ثم تتطوّر إلى نقاش أعمق وأكثر تنظيماً

¹ المرجع نفسه ، ص342.

² المرجع نفسه ، ص344.

، يؤكد أن التلقين وحده لا يكفي، بل يجب أن يصاحبه التفاوض المنطقي والتساؤل العلمي، ليتربّخ العلم ملكة في النفس والعقل ويؤكد بأن المتعلمين يستفيدون أكثر إذا أتيحت لهم الفرصة لعرض آرائهم وتصحيحها أو مناقشتها ضمن بيئة تعليمية آمنة ، كما أنه يشير الى ضرورة تنويع طرق التدريس، وتحويل الحصة من مجرد تلقين إلى جولات أسئلة مفتوحة يديرها المعلم بذكاء ويحدّر من طلب العلم بالاختصار على إحدى الطرق التقليدية فقط، كالحفظ الجاف أو أغراض المناظرات غير البناءة ، ويركز على أن المناقشة تبني فطنة المتعلم وتدفعه إلى إبراز آرائه، كما أنه يؤكد على أن الحوار يعمل على تثبيت الملكة ، و أنه يخلق في نفس المتعلم الثقة والفطنة والعقلانية، في مقابل بيئة التلقين القاسية التي تُثمي التبعية الفكرية الخضوع والخمول.

✓ التعلم بالاستقراء و الاستنباط :

في نظر ابن خلدون ، يُعدّ الاستقراء نقطة انطلاق نحو الفهم العام، لكنه لا يقف عنده بل يستخدم الاستنباط لاستنتاج نتائج جديدة من الكليات مثلاً، في العملية التعليمية داخل القسم يقوم المعلم في درس اللغة العربية بقراءة النص مع تلاميذه والإجابة على الأسئلة المتعلقة به ثم يتطرق الى درس القواعد الذي تكون أمثله مستنبطة من النص وبهذه الطريقة يصل المعلم مع تلاميذه الى استخلاص القاعدة عن طريق الاستكشاف، إضافة الى ذلك فان ابن خلدون يشدد ويلح على أن التعليم يجب أن يراعى فيه التدرج عبر تقديم مسائل بسيطة من كل باب، تُعرض بإجمال أولاً لتكوين فهم» لابد أيها المتعلم من مجاوزتك هذه الحجب كلها الى الفكر في مطلوبك فأولاً دلالة الكتابة المرسومة على الألفاظ المقولة وهي أخفها ثم دلالة الألفاظ المقولة على المعاني المطلوبة ثم القوانين في ترتيب المعاني للاستدلال في قوالها المعروفة في صناعة المنطق ثم تلك المعاني مجردة في الفكر أشراك يقتصر بها المطلوب بالطبيعة الفكرية بالتعرض لرحمة الله ومواهبه وليس كل أحد يتجاوز هذه المراتب بسرعة و لا يقطع هذه الحجب في التعليم بسهولة بل ربما وقف الذهن في حجب الألفاظ بالمناقشات

أو عثر في اشراك بشغب الجدل والشبهات و قعد عن تحصيل المطلوب ولم يكد يتلخص من تلك الغمرة الا قليل من هداه الله.¹ إنه يعتبر هذا الأسلوب من أهم طرق التعليم المفيد، لأنه يراعي فطنة المتعلم وقدراته العقلية، فلا يُحمّل فوق طاقته، بل يُهيئ ذهنه تدريجياً للاعتماد على ذاته في الفهم وإضافة إلى ذلك، يحرص على عدم تشتيت الذهن عبر خلط علمين أو أكثر معاً قبل إتمام إحداهما، حتى لا يتشتت الاستقراء ولا ينضب الاستنباط ، كما يحثّ على المراجعة السريعة والمتابعة بدون فواصل زمنية كبيرة، لأن الملكة تتكون بتتابع التكرار، وكل فترة انقطاع تُضعفها، فالاستقراء لا يكون بنقل القواعد فقط ، بل يُمكن المتعلم من توسيع إدراكه بالرجوع إلى موارد متعددة سواء تكرر مسائل، أم رحلة في طلب العلم، أم مناظرات لتعميق الملكة في نفس الوقت، الاستنباط يُنبّه المتعلم إلى ضرورة ربط الجزئي بالكلي، بحيث يثبت في ذهنه العلاقة المنطقية بين الأصل والفروع، ويصبح قادراً على استخدام هذه العلاقة في حل المسائل الجديدة.

وقد تطرقت رقية طه جابر العلواني من خلال كتاب منهج ابن خلدون في إصلاح العملية التعليمية أن ابن خلدون يطرح في فكرة الاستنباط مدى أهمية تحديد الأصول والإجراءات التي تتطلبها المرحلة التعليمية من خلال استنباط العلم بموضوعه وتقسيم أبوابه وفصوله ، وتتبع مسأله أو استنباط مسائل ومباحث تعرض للعلم المحقق و يحرص على إيصال بنيره لتعم المنفعة به ، وهذه المراجعة تعد من أهم إشكاليات اصلاح العملية التعليمية التي تقرض نفسها بشدة في الوقت الحاضر² .

¹ المرجع نفسه ،ص345.

² رقية طه جابر العلواني ، منهج ابن خلدون في اصلاح العملية التعليمية كلية الآداب ، جامعة البحرين ، د.س، ص

2. مراحل النمو العقلي و النفسي :

ينظر ابن خلدون للنمو العقلي و النفسي على أنه يمر بمراحل تدريجية، تنمو فيها الملكات العقلية شيئاً فشيئاً مع التكرار المتواصل للأفعال، حتى تتشكل داخل النفس كصفات راسخة في المستوى الأول فيقول: « قد ذكرنا في الكتاب أن النفس الناطقة للإنسان انما توجد فيه بالقوة وان خروجها من القوة الى الفعل انما هو بتجدد العلوم والادراكات عن المحسوسات أولاً ثم ما يكتسب بعدها بالقوة النظرية الى أن يصير إدراكا بالفعل وعقلا محضا فتكون ذات روحانية ويستكمل حينئذ وجودها فوجب لذلك أن يكون كل نوع من العلم والنظر يفيدها عقلا فريدا.¹»، أي العقل التمييزي يبدأ الإنسان بفهم العالم الخارجي عبر الحواس، فيدرك المفيد من الأمور والضار منها، ويكون تصورات أولية عن الطبيعة ومع التكرار المستمر تتعمق هذه التصورات فتتحول من قوة إلى فعل، ثم إلى ملكة ثم تنتقل القدرة الذهنية إلى المستوى الثاني، وهو (العقل التجريبي) الذي يبني على التجربة والخبرات الاجتماعية، فيكون الأفكار والسلوكيات اللازمة للتفاعل مع الآخرين، ويبدأ في صياغة العلاقات بين عناصر بيئته ، هذه الملكة تتخصص أكثر وتنتقل بالتدرج إلى المستوى الثالث وحسب ما يشير اليه "حمود سالم العليمات في دراسته حول العقل النظري أو التفكير²»، ويمكن القول حسب ابن خلدون يُعرف بـ العقل الزائد أو الإضافي وهو العقل المثقف موسع القدرات، الذي ينشئ حضائر علمية وثقافية، ويستثمر خبراته الفكرية لابتكار معارف جديدة وتطبيقها على المجتمع، فيكون عنصر تغيير حضاري وهكذا يرتبط النمو العقلي عند ابن خلدون بتدرج ثلاثي أو رباعي، يبدأ من التمييز الحسي والتجربة الاجتماعية، ثم النظر العقلي، وأخيراً العقل الزائد المنتج والمنظر، حيث يقول ابن خلدون : «أن الانسان مدني بطبع تعود نسبتها الى المدينة كناية عن الاجتماع البشري ومعنى أن الانسان مدني بالطبع ، أنه لا تمكن حياة

¹المقدمة لابن خلدون ،المرجع نفسه ، ص339.

² حمود سالم العليمات ، نظرية ابن خلدون في الذكاء و القدرات العقلية الأسس الاجتماعية و الثقافية ، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية ، المجلد 02، العدد 01، 2009، ص40

المنفرد من البشر ولا يتم وجوده الا مع أبناء جنسه ، وذلك لما هو عليه من العجز عن استكمال وجوده وحياته ، فهو محتاج الى المعاونة في جميع حاجاته أبدا بطبعه ، الوجود الاجتماعي للإنسان ضرورة لاستمرار حياته و تحقق حاجاته.¹ ومرتبة العقل النظري الذي تكفل بتفسير العلوم فلا نحتاج الى تفسيره² كذلك الثانية تتميز بالتجربة والتحليل واكتساب قدرات فكرية ومعرفية أعمق، والثالثة تمثل ذروة التعلم، حيث يصبح المتعلم قادراً على التفكير والتحليل وتطبيق المعرفة بشكل مستقل وإبداعي، مستولياً على ملكة إتقان قوية ، إن هذا البناء العقلي يترافق دائماً مع نمو نفسي معرفي متوازن، إذ لا تكتسب الملكات العقلية إلا عبر الأفعال المتكررة، ما يُنمّي شخصية متحضرة قادرة على الابتكار والتفاعل الإيجابي في المجتمع. فالمعرفة عنده ليست مجرد حفظ بل حيازة ملكة عقلية متكاملة، تكون ذات طبيعة وثبات وتنشأ من التجربة ثم الترسخ، حتى يتحوّل العقل إلى آلة تحوّل العالم وتشكّله.

✓ المراحل التعليمية وتدرجها :

يحدد ابن خلدون في مقدمته المراحل التعليمية الأساسية التي يجب أن يمر بها المتعلم لتحقيق التعلم الفعال، وقد استنتج الباحثون من كلام ابن خلدون ثلاثة مراحل للتعلم، ومن بين هؤلاء الباحثين وضحت سهيلة مازة هذه المراحل التعليمية وتدرجها بحيث أنها ترى أن هناك ثلاث مراحل وهي:

المرحلة الأولى: يدرس فيها المتعلم المعلومات البسيطة المناسبة لمستواه العقلي، حتى لا يكون فوق قدرته على الإدراك، حيث نُعبّر عنها الآن بالمرحلة الابتدائية، وفي نظرها أن ابن خلدون يرى مرحلة اكتساب ملكة للتعلم، إلا أنها جزئية وضعيفة ومنهجه في هذه المرحلة أن يبدأ تعليم الصغير بالتدرج به من السهل إلى الأقل سهولة في تكرارات شيئاً فشيئاً

¹المقدمة لابن خلدون ،المرجع نفسه، ص339.

² عبد الرحمن ابن خلدون ، المقدمة ، حققها و قدم لها و علق عليها عبد السلام الشداوي ، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ و علم الانسان و التاريخ ، وزارة الثقافة ، الطبعة الأصلية ببيت الفنون و العلوم و الأدب ، العدد الثالث ، الجزء الثاني ، الجزائر ، 2006، ص342.

، وقليلًا قليلًا، يتلقى المتعلم مسائل يسيرة من علم ما مع الشرح الذي يتناسب مع قوة عقله واستعداده لقبول العلم فيصبح له في ذلك العلم ملكة جزئية ضعيفة ، لكنها كافية لأن تحفزه لفهم ذلك العلم وتحصيل مسائله، كما أنها تكسب المتعلم القدرة على مواصلة تعليمه بكيفية مريحة ، أما المرحلة الثانية: فهي الدراسة الثانوية بمفهومها المعاصر (المتوسط والثانوي)، وفيها يتلقى المتعلم المعلومات نفسها على مستوى أعلى من الأول، فيبدأ بالشرح والتحليل وإظهار التشابه والفوارق الموجودة بين مختلف نقاط الدرس، كما يقوده من الكليات العامة إلى الجزئيات، ويدربه على الموازنة للوصول إلى استخلاص بعض الأحكام ومعرفة أوجه الاتفاق والاختلاف، وبذلك تجود ملكته وتنمو.

بينما المرحلة الثالثة: وهي مرحلة البحث والتعمق والتدقيق حيث يقول ابن خلدون :«فلا يترك عويصا ولا مبهما ولا مغلقا إلا أوضحه وفتح له مغلة فيخلص من الفن، وقد "استولى على ملكته " ، حيث يشرح للمعلم غوامض العلم ومشاكله فيستولي على ملكة ذلك العلم، وهذه المرحلة ما نعبر عنها الآن، المرحلة الجامعية، وحسب رأي ابن خلدون أن المناهج الدراسية في مراحلها تختلف باختلاف البيئات مع الحفاظ على قاعدة أساسية للتعليم وهي علوم القرآن الكريم¹»، يعني ذلك أن ابن خلدون يرى أنه يقدم للمتعلم في المرحلة الأولى مواد بسيطة ومجملّة تتناسب مع قدراته العقلية واستعداده العقلي، مراعيًا أن لا تكون فوق طاقته، مع تكرار قريب في الزمن لتثبيت الملكة الجزئية الضعيفة، وإن كان ذلك كافياً لتحفيزه على مواصلة التعلم ، ثم يبدأ بأساسيات العلم من كل باب بأسلوب مبسط مدعوم بأمثلة محسوسة سهلة لتيسير عملية الإدراك، ويحذر من تحميل ذهن المتعلم بما يفوق استعداده ، فهو يعتمد في هذه المرحلة على التدرج من السهل إلى الأصعب، ويخصّص وقتاً قصيراً لكل تدوير للإلقاء حتى لا يثقل ذهن الطفل ويثبت عنده الملكة الجزئية ، إضافة الى ذلك فهو يدعوا الى تجنب خلط العلوم ويكتفي بدرس واحد في كل مرحلة، لتجنب اصطدام

¹ سهيلة مازة ، المنهج التعليمي الاستشراقي في فكر ابن خلدون ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ، ص342.

الذهن بالخلاف والتركيز المبعثر بعد تمهيد الأسس، ينقل المتعلم إلى المرحلة الثانية حيث يُعاد عرض المعلومات السابقة بمستوى أعلى، ويُمتّع بالشرح والتفصيل والتحليل مع توضيح أوجه الشبه والاختلاف بين مفاهيم الدرس، وهذا يعزز ملكته ، في هذه المرحلة تزداد قوة الملكة العقلية، وتبدأ عملية الاستدلال وتحليل التفاصيل واستخلاص الأحكام، ويُؤكد على الانتقال من الكليات إلى الجزئيات لبلوغ عمق الفهم إضافة الى ذلك ،تأتي المرحلة الثالثة التي تمثل ذروة التعلم، حيث يُفتح كل مغلق ويُشرح كل غامض، فلا يُترك عويص أو مبهم إلا وقد توضّح قسمه، فيخلص المتعلم من الغموض ويستولي على الملكة الكاملة في العلم، وأخيراً التعمق وحلّ العقد، وإن لم تلتزم بالحرف بها، فإن الهدف هو الوصول إلى الاستيلاء الكامل والذكاء النظري والعملي في التطبيق . ولتحقيق ذلك، يرفض التعليم بالعنف أو الشدة والملل، بل يشجّع على الحوار والتجريب واستخدام الحواس، واعتماد الكتابة والحساب كأدوات لتنمية القدرات العقلية .

المبحث الثالث : نظرية الاكتساب عند ابن خلدون

1. مفهوم الاكتساب عند ابن خلدون

يشكل مفهوم الاكتساب في فكره أحد الركائز الأساسية لنظريته التربوية والتعليمية والمعرفية، حيث يربط بشكل وثيق بين العملية التعليمية وتكوين الملكات الإنسانية ويؤسس نظريته في الاكتساب على رؤية من أهم سماتها الشمولية تولي أهمية واضحة للطبيعة الإنسانية المركبة من الجانبين المادي والمعنوي ، والتي تتطلب منهجية خاصة في التعامل مع عمليات اكتساب المعرفة والمهارات، فالإنسان في نظره ليس مجرد متلقٍ سلبي للمعلومات، بل كائن فعال يتأثر بمحيطه الاجتماعي والثقافي لتكوين ملكاته الخاصة التي تختلف من إنسان إلى آخر ، تنطلق نظرية الاكتساب عنده من فهم عميق لطبيعة العقل الإنساني وقد تعرضنا لهذا العنصر بإسهاب فيما سبق وقدراته الكامنة، حيث يرى أن الإنسان مخصوص في أصل خليقته بقوى فطرية تمكنه من التعلم والتطور، لكن هذه القدرات تحتاج إلى اكتشاف وتوجيه

من خلال التفاعل مع البيئة المحيطة، وهنا تبرز أهمية ما يسميه ابن خلدون "المحاكاة والتلقين"، فالإنسان يتعلم بالدرجة الأولى من خلال محاكاة من حوله وتقليد السلوكيات والممارسات التي يراها في بيئته الاجتماعية، هذه المحاكاة ليست مجرد تقليد أعمى، بل عملية معقدة تتحقق على مراحل الفهم والاستيعاب والتطبيق التدريجي، ثم الطريقة الثانية المهمة في الاكتساب عند ابن خلدون هي الاحتكاك بالمحيط الاجتماعي والثقافي، فالإنسان كائن اجتماعي بطبعه، ومن خلال هذا التفاعل يكتسب اللغة والعادات والتقاليد والمهارات المختلفة، وهذا الاحتكاك لا يقتصر على التفاعل المباشر مع الأفراد، بل يشمل أيضاً التعرض للثقافة المكتوبة والشفوية والممارسات الاجتماعية المتنوعة، فالطفل مثلاً يكتسب لغته الأم ليس من خلال دروس نحوية مجردة، بل من خلال الاستماع المستمر للغة في محيطه والمحاولة التلقائية لتقليدها واستعمالها «.... كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فيلقنها أولاً ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة و من كل متكلم و استعماله يتكرر الى أن يصير ذلك ملكة.¹»، أما الطريقة الثالثة فهي الممارسة العملية والتطبيق المستمر، حيث يؤكد ابن خلدون على أن جميع الملكات لها طابع عملي، وأن النفس لا تستطيع اكتساب أي ملكة والتمكن منها إلا من خلال الممارسة الفعلية التي تشارك فيها الحواس والجوارح. فالمعرفة النظرية وحدها لا تكفي لتكوين الملكة، بل لا بد من التطبيق العملي المتكرر حتى تترسخ المهارة في النفس وتصبح جزءاً من طبيعة الإنسان «.... و الملكات لا تحصل الا بتكرار الأفعال لان الفعل يقع أولاً و تعود منه للذات صفة ثم تكرر فتكون حالاً و معنى الحال أنها صفة غير راسخة ثم يزيد التكرار فتكون الملكة أي صفة راسخة.»، هذا المفهوم يجعل من نظرية ابن خلدون نظرية عملية تطبيقية تركز على النتائج المحسوسة والقابلة للقياس.

¹المقدمة لابن خلدون، المرجع نفسه، ص 461.

2. نظرية ابن خلدون في الاكتساب:

تقوم نظرية الاكتساب عنده على مفهوم أساسي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بابن خلدون ورؤيته التربوية هو "الملكة"، والتي يعرفها بأنها صفة راسخة في النفس» قد ذكرنا في الكتاب أن النفس الناطقة للإنسان إنما توجد فيه بالقوة وإن خروجها من القوة إلى الفعل إنما هو بتجدد العلوم والادراكات عن المحسوسات أولاً ثم ما يكتسب بعدها بالقوة النظرية إلى أن يصير إدراكاً بالفعل وعقلاً محضاً فتكون ذات روحانية ويستكمل حينئذ وجودها فوجب لذلك أن يكون كل نوع من العلم والنظر يفيدها عقلاً فريداً.¹ تمكن صاحبها من أداء عمل معين بسهولة وإتقان دون الحاجة إلى تفكير مسبق أو جهد إضافي، وهذا التعريف يبين مدى عمق فهم ابن خلدون لطبيعة التعلم الإنساني، فالملكة ليست مجرد معلومة يحفظها الإنسان في ذاكرته، بل قدرة عملية تتحول إلى جزء من شخصيته وسلوكه العفوي، وهذا الانتقال من المعرفة النظرية إلى القدرة العملية هو أساس وجوهر عملية الاكتساب في نظريته، فهو يميز بين نوعين أساسيين من الملكات: الملكات الحسية والملكات العقلية، الملكات الحسية ترتبط بالحواس والإدراك المباشر للواقع» وذلك أن الحذف في العلم والتقن فيه والاستيلاء عليه إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه.² وتشمل مهارات مثل الحرف اليدوية والفنون التطبيقية والرياضة البدنية، هذه الملكات تتطلب تدريباً مكثفاً للحواس والعضلات، وتحتاج إلى وقت طويل من الممارسة المستمرة حتى تصل إلى درجة الإتقان، فالحرفي الماهر مثلاً لا يصل إلى مستواه من الإتقان بمجرد قراءة كتب عن حرفته، بل من خلال سنوات من العمل اليدوي المتواصل تحت إشراف أستاذ متمكن متمرس .

² المرجع نفسه ، ص 461

¹ المرجع نفسه ، ص 339.

² المرجع نفسه ، ص 341.

أما الملكات العقلية فترتبط بالتفكير والاستنباط والتحليل، وتشمل العلوم النظرية كالفلسفة واللاهوت والرياضيات والمنطق» كانت الحنكة في التجربة تفيد عقلا والملكات الصناعية تفيد عقلا والحضارة الكاملة تفيد عقلا لأنها مجتمعة من صنائع في شأن تدبير.¹ هذه الملكات تتطلب منهجية مختلفة في التكوين، فهي تحتاج إلى التدرج في التعلم من البسيط إلى المعقد، والبناء المنطقي للمعرفة على أسس صحيحة، كما تحتاج إلى قدر أكبر من التأمل والتفكير والمناقشة والجدل العلمي، « الملكة أنما هي للعالم أو الشاى في الفنون دون من سواهما فدل على أن هذه الملكة غير الفهم و الوعي و الملكات كلها جسمانية سواء كانت في البدن أو في الدماغ.»² لكن هذا لا يعني أن الملكات العقلية منفصلة عن الجانب العملي، بل إن ابن خلدون يؤكد على ضرورة ربطها بالتطبيق والممارسة لتصل إلى درجة الرسوخ المطلوبة.

تأتي بعد ذلك مرحلة المحاكاة والتقليد، وهي المرحلة التي يبدأ فيها المتعلم بالمحاولة الفعلية لتقليد ما شاهده وتطبيقه بنفسه ، هذه المرحلة تتطلب توجيهاً وإشرافاً من المعلم أو الأستاذ الماهر، لأن المتعلم في البداية سيرتكب أخطاء كثيرة ويحتاج إلى التصحيح المستمر « البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم ، تارة تعليمًا وإلقاءً، وتارة محاكاةً وتلقيًا بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكامًا ورسوخًا..... ولا يحصل ذلك دفعة وانما يحصل في أترمان وأجيال اذ خروج الأشياء من القوة الى الفعل.»³، كما تتطلب صبراً ومثابرة من المتعلم نفسه، لأن النتائج في البداية قد تكون مخيبة للآمال ولا تشبه النماذج المثالية التي شاهدها، لكن هذا أمر طبيعي في عملية التعلم، والمهم هو الاستمرار والمثابرة.

المرحلة الثالثة هي الممارسة والتكرار المكثف، وهي أطول المراحل وأكثرها أهمية في تكوين الملكة، في هذه المرحلة يكرر المتعلم الممارسة مراراً وتكراراً، مع التحسن التدريجي في

² المرجع نفسه، ص 341.

³ المرجع نفسه، ص 317.

الأداء والتقليل من الأخطاء، هذا التكرار ليس مجرد إعادة آلية، بل تكرر واعٍ يهدف إلى الوصول لدرجة أعلى من الإتقان في كل مرة، وابن خلدون يؤكد على أن هذه المرحلة لا يمكن تقصيرها أو تجاوزها، فالملكة لا تتكون إلا بالمران الطويل والممارسة المستمرة .

أخيراً تأتي مرحلة الرسوخ والاستقرار، وهي المرحلة التي تصبح فيها الملكة جزءاً من طبيعة الإنسان، بحيث يؤدي العمل المطلوب بتلقائية وسهولة دون الحاجة إلى تفكير مسبق أو جهد إضافي. في هذه المرحلة يصبح المتعلم قادراً على الإبداع والتطوير في مجال ملكته «البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم، تارة تعليمًا وإلقاءً، وتارة محاكاةً وتلقيًا بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكامًا ورسوخًا..... ولا يحصل ذلك دفعة و إنما يحصل في أزمان¹»، وقد يصل إلى درجة تمكنه من تعليم الآخرين ونقل خبرته إليهم، هذه المرحلة تمثل الهدف النهائي لعملية الاكتساب، وهي التي تميز بين من اكتسب الملكة حقاً ومن اكتفى بالمعرفة السطحية، العوامل المؤثرة في عملية الاكتساب متنوعة ومتداخلة، وتتنوع بين عوامل داخلية تتعلق بشخصية المتعلم نفسه وقدراته الذاتية واستعداداته الفطرية، وعوامل خارجية تتعلق بالبيئة والظروف المحيطة، أما عن العوامل الداخلية المهمة القدرات الفطرية والاستعداد الطبيعي للاكتساب، فليس كل الناس على نفس القدر من الإمكانيات ، وهذا التفاوت الطبيعي يؤثر على سرعة التعلم ودرجة الإتقان المحققة، كما أن الدافعية والرغبة الجادة في التعلم عامل مهم وحاسم، فمن لا يملك الدافع القوي لتحقيق ذلك لن يتحمل صعوبات ومشاق الممارسة الطويلة الضرورية لتكوين الملكة « وقبل أن يساعد لفهمها فإن قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجياً ويكون المتعلم أول الأمر عاجزاً عن الفهم.»²

¹ المرجع نفسه، ص 317.

² المرجع نفسه، ص 444.

سِنَّ المتعلم أيضاً عامل أكثر من مهم، حيث يؤكد ابن خلدون على أن أفضل مراحل التعلم هي مرحلة الطفولة والشباب، لأن النفس في هذه المراحل تتميز بالمرونة تكون أكثر قابلية للتشكيل والتأثر، أما في المراحل المتأخرة من العمر، فتصبح النفس أكثر جموداً وأقل قدرة على اكتساب ملكات جديدة، خاصة تلك التي تتطلب مهارات حركية أو حفظاً كثيفاً « و يراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه.»¹ ، هذا لا يعني استحالة التعلم في سن متأخرة، لكن يعني أن الأمر يصبح أصعب ويحتاج جهداً أكبر، من العوامل الخارجية المؤثرة البيئة الاجتماعية والثقافية التي يعيش فيها المتعلم، فالبيئة الغنية بالنماذج المتميزة والفرص التعليمية تسهل عملية الاكتساب وتسرعها، بينما البيئة الفقيرة ثقافياً تعيق هذه العملية، كما أن وجود المعلم المؤهل والقُدوة الصالحة عامل حاسم، فالمعلم الماهر لا ينقل المعرفة فقط، بل يكون نموذجاً يحتذى به ويوفر التوجيه والتشجيع اللازمين « وقد شاهدنا كثيراً من المعلمين لهذا العهد الذين أدركنا يجهلون طرق التعليم.»²

3. الفرق بين الاكتساب و التعلم عند ابن خلدون :

يقوم التمييز بين التعلم والاكتساب في فكر ابن خلدون حسب ما قمنا باستخلاصه من خلال العناصر التي قمنا بذكرها سابقاً على فهم عميق لطبيعة العملية التعليمية وأهدافها المختلفة ، فالتعلم في نظره هو العملية الواعية والمقصودة الممنهجة التي يتم من خلالها نقل المعرفة النظرية من المعلم إلى المتعلم وفق منهجية محددة ومخططة مسبقاً، وتهدف إلى إكساب المتعلم المعلومات والمفاهيم والنظريات التي يحتاجها في مجال معين ، التعلم بهذا المعنى عملية خارجية التوجه، تعتمد على مصادر خارجية للمعرفة وتتبع منهجية واضحة ومحددة، كما أن منهجية التعلم تشمل الشرح النظري للمفاهيم والقواعد، حيث يقوم المعلم بعرض المادة العلمية بطريقة منطقية مترابطة تساعد المتعلم على الفهم والاستيعاب ،كما

¹ المرجع نفسه ، ص444.

² المرجع نفسه ، ص444.

تشمل التلقين المباشر للمعلومات، وهو أسلوب تقليدي يقوم على نقل المعرفة من المعلم إلى المتعلم دون تفاعل كبير».... ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك حينئذ يسلم له منصب التحصيل فيحتاج المتعلم الى حفظه.¹ أي أن الحفظ والاستظهار جزء مهم من هذه المنهجية، خاصة في العلوم التي تتطلب حفظ نصوص أو قواعد معينة، وأخيراً الاختبار والتقييم لقياس مدى تحصيل المتعلم للمعرفة المنقولة إليه.

أما الاكتساب فهو العملية التلقائية والطبيعية التي يكتسب من خلالها الإنسان الملكات والمهارات من خلال الممارسة والتجربة المستمرة والتفاعل مع البيئة المحيطة، تحدث بشكل طبيعي وعفوي غير مقصود نتيجة للتعرض المستمر للمواقف والخبرات المختلفة، فالاكتساب يركز على الجانب السلوكي والعملي أكثر من الجانب المعرفي النظري، ويهدف إلى تكوين مهارات وقدرات عملية يمكن استخدامها في الحياة اليومية ، منهجية الاكتساب تقوم على أسس مختلفة تماماً عن منهجية التعلم التقليدي فهي تبدأ بالملاحظة والمحاكاة، حيث يراقب المتعلم الممارسين المهرة ويحاول تقليدهم وفهم طرقهم وأساليبهم ، ثم تأتي مرحلة التجربة والممارسة الفعلية، حيث يطبق المتعلم ما شاهده بنفسه ويتعلم من أخطائه، والتكرار والاعتدال جزء أساسي من هذه المنهجية، فالملكة لا تتكون إلا بالممارسة المتكررة والمستمرة، وأخيراً، التطوير التدريجي حيث يحسن المتعلم من أدائه تدريجياً حتى يصل إلى مستوى الإتقان المطلوب» الملكات انما تحصل بتتابع الفعل وتكراره واذا تتوسى الفعل تتوسيت الملكة الناشئة.² ويمكن القول أن الفروق الجوهرية بين التعلم والاكتساب واضحة في عدة جوانب من ناحية الطبيعة، التعلم واعٍ ومقصود بينما الاكتساب تلقائي وطبيعي ، ومن ناحية المحتوى، التعلم معرفي نظري بينما الاكتساب مهاري عملي، ومن ناحية المدة الزمنية، التعلم قصير نسبياً بينما الاكتساب طويل المدى ، ومن ناحية المصدر، التعلم خارجي يعتمد على المعلم والكتب، بينما الاكتساب داخلي ينبع من الممارسة الذاتية ، ومن ناحية

¹ المرجع نفسه، ص442.

² المرجع نفسه، ص444.

المخرجات، التعلم ينتج معلومات ومعرفة نظرية، بينما الاكتساب ينتج ملكات راسخة وقدرات عملية، لكن ابن خلدون لا يرى تعارضاً أو تناقضاً بين التعلم والاكتساب، بل يعتبرهما عمليتين متكاملتين ومتناسقتين في تكوين الإنسان المتعلم الماهر، فالتعلم يوفر الأساس النظري والمعرفي الضروري، بينما الاكتساب يحول ويصقل هذا الأساس إلى قدرات عملية ومهارات مفيدة، والجمع بين العمليتين يؤدي إلى تكوين شخصية متكاملة تملك المعرفة النظرية والقدرة العملية على التطبيق والإنجاز.

4. العلاقة التكاملية بين التعلم و الاكتساب :

العلاقة التكاملية بين التعلم والاكتساب تظهر في عدة مستويات ، على المستوى الزمني، يكون التعلم عادة بداية العملية التعليمية، حيث يزود المتعلم بالأسس النظرية والمفاهيم الأولية التي يحتاجها، ثم يأتي الاكتساب كاستمرار طبيعي لهذه العملية، حيث يحول المعرفة النظرية إلى مهارة عملية راسخة من خلال الممارسة والتطبيق، وأخيراً يأتي التطوير والإبداع كنتيجة طبيعية للجمع بين المعرفة النظرية والخبرة العملية ، فعلى المستوى الوظيفي، يؤدي التعلم وظيفة توفير خريطة عمل ودليل يعتمد، حيث يوضح للمتعلم الطريق الصحيح والمنهج المناسب لتحقيق أهدافه، بينما يؤدي الاكتساب وظيفة توفير الأدوات والمهارات العملية اللازمة للسير في هذا الطريق وتطبيق هذا المنهج، والنتيجة النهائية هي تحقيق الإتقان الحقيقي الذي يجمع بين المعرفة النظرية الصحيحة والمهارة العملية المتقنة ، أما على المستوى التربوي، يؤكد ابن خلدون على أهمية تجنب القهر والإكراه في العملية التعليمية«... وأدركه الكلال وانطمس فكره ويئس من التحصيل.»¹، لأن ذلك يؤدي إلى نتائج عكسية ويدفع المتعلم إلى الكذب والمخادعة، بدلاً من ذلك، ينبغي الجمع بين التعليم الرفيق الذي يحترم طبيعة المتعلم وخصائصه الفردية، والاكتساب التدريجي الذي يبني الملكات بصبر

¹ المرجع نفسه، ص444.

ومثابرة دون استعجال أو إكراه، هذا التكامل بين الرفق في التعليم والتدرج في الاكتساب يؤدي إلى نتائج تعليمية أفضل وأكثر استمرارية .

المبحث الرابع: نظرية ابن خلدون التعليمية في ضوء النظريات المعاصرة

1. طرق التدريس والمنهجية التعليمية المقترحة من طرف ابن خلدون:

• طرق التدريس :

لم يحدد ابن خلدون منهجاً تعليمياً واحداً قائماً بذاته كونه يعتبر التعليم حرفة تتطلب الكثير من المرونة في الأساليب بتنوع فئات المتعلمين ، وإنما نادى بضرورة تكيف طرائق التدريس بما يتناسب مع إمكانيات كل طالب وقدراته الفردية، مما يمكن المعلم من انتقاء الأسلوب الأمثل الذي يحقق الأهداف التعليمية المنشودة.

وقد ركز على فكرة المناقشة بين المعلم والمتعلم وزملاء، و ضرورة الحوار و طرح السؤال ذلك بغاية الحصول على الملكة، بحيث يقول « و أيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاور و المناظرة في المسائل العلمية فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرامها¹ » ، أي أن الحوار و المناظرة يساعد المتعلم على تحسين أسلوبه الحواري ، إضافة الى أن طرح الأسئلة و مناقشة المفاهيم يساعد في عملية الاستيعاب وترسيخ المعلومات و المفاهيم ، يضيف على ذلك فيقول : « وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم و التعليم بعد تحصيل من يرى منهم أنه قد حصل تجد ملكته قاصرة في علمه ان فاوض أو ناظر أو علم و ما أتاها القصور الا من قبل التعليم و انقطاع سنده و الا فحفظهم أبلغ سواهم لشدة عنايتهم به² » وهو يعني بذلك أن الكثير من المتعلمين يقضون وقت طويل من عمرهم في التعلم الا أن تعلمهم مبني على الحفظ فقط ،

¹ المرجع نفسه، ص342.

² المرجع نفسه، ص342.

ولا يجيدون فنيات المناقشة والحوار ويأخذون العلم كما قدم لهم ، لا يغوصون في أعماقه ولا يجتهدون في شرحه و تبسيطه أو تقديم الإضافة فيه ،وأشار الى ظاهرة سكوت الطلبة دون المناظرة أو طرق أسئلة أو الاستفسار أو حتى اكتشاف جوانب جديدة في الموضوع فيقول « فتجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون و لا يفاضون¹، إضافة الى ذلك يراعى فيه قوة عقل المتعلم و قدراته في الاستيعاب و استعداده الفكري و الفروق الفردية و المواهب الفطرية و يستخدم الملقن طرق مختلفة في الشرح و تبسيط المعلومات و الأفكار، فيراعى في ذلك قوة عقله و استعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي الى آخر الفن ، وعند ذلك تحصل له ملكة في ذلك العلم ، و يركز على شرح كل فكرة مبهمة للمتعلم دون اغفال أي تفاصيل كانت ، إضافة الى استخدام أمثلة الحسية و ما يتماشى مع قدرات المتعلم و الانتقال فيها من التقريب الى الاستيعاب و تكرارها لوصول المتعلم للفهم ، فالتكرار الدروس وترسيخها في ذهن الطالب ، و يُفضل عرض المادة بشكل مختصر في البداية، ثم تكرارها مفصلة، ثم تكرارها بتوسع أكبر لاحقاً ، بحيث أن هذا الأسلوب يُعزز تثبيت المعرفة ويمنع نسيانها حيث يقول «...الملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل و تكراره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته²» ، أما في حالة ما إذا كان المتعلم ضعيف الفهم في أول الأمر قليل الإدراك فتساعده هذه الأمثلة الحسية في الشرح والتبسيط ، وذلك كله لتحاشي نفور المتعلم من الدراسة و التكاسل فيها ، حيث يقول ابن خلدون : « .. من صعوبة العلم في نفسه فتكاسل عنه و انحرف عن قبوله و تمادى في هجرانه³ » ، كما أكد على ضرورة اعتماد المحاكاة كأسلوب للتعليم وذلك في قوله : « البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم ، تارة تعليمًا وإلقاءً، وتارة محاكاةً وتلقيًا

¹ المرجع نفسه، ص342.

² المرجع نفسه، ص317.

³ المرجع نفسه، ص444.

بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن طريق المباشرة والتلقين أشد استحكامًا ورسوخًا.¹ فمحاكاة العلماء والافتداء بهم وتقليدهم والسير على منهجهم وخطاهم وأخلاقهم ومن خلال الأخذ عنهم والاحتكاك بهم لفهم ما هو المبهم و طرح التساؤلات و الاستفسار يساعد المتعلم في اكتساب الملكة و تطويرها وإنماء مواهبه و قدراته الفكرية و المعرفية .

• المنهجية التعليمية عند ابن خلدون :

دعا ابن خلدون إلى عدم الشدة على المتعلمين إذ يرى أنه من الممارسات السيئة أثناء بناء الملكة لأن ذلك يدفع إلى الكسل و الخبث و الكذب و التظاهر بغير ما في نفسه وضميره ذلك خوفا من العقاب والعنف ، ما يخلق عادة رديئة لدى المتعلم ، فهو يرى مضرة في الشدة على المتعلمين و مفسدة للنفوس و خاصة صغار السن ما يخلق لديهم فقدان الثقة بالنفس و الكراهية و الانكسار فيقول «...و ذلك أن إرهاف الحد في التعليم مضر بالتعليم سيما في أصاغر الولد لأنه من سوء الملكة ، ... و ذهب بنشاطها و دعا إلى الكسل و حمل الكذب و الخبث ²..» ، كما أنها تزيد من القلق والتوتر والخوف في نفوسهم، ما يخلق عجز الطفل وتوتره النفسي الذي من الممكن أن يؤدي إلى العدوانية والانحراف السلوكي، وقد يؤدي إلى الكذب والسرقة والتغيب عن المدرسة وغيرها من مظاهر الانحراف، ورغم معارضة ابن خلدون للقسوة على المتعلمين لما لها من آثار سلبية، إلا أنه لم يدع إلى التسامح المطلق مع الأطفال، أجاز العقاب البدني في حالات الضرورة القصوى، بما لا يتجاوز ثلاث جلدات حيث قال«... لا ينبغي للمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم اذا احتاجوا اليه على ثلاثة أسواط شيئا ³»، على أن يكون العقاب هو الحل الأخير، بعد استخدام الترغيب والترهيب والتوبيخ والعزل والإهمال، ويُباح العقاب البدني لتعديل سلوك معين، ولكن في أضيق الحدود، وكوسيلة لردع الطلاب عن الخطأ، وتتفاوت شدته باختلاف

¹ المرجع نفسه، ص 317.

² المرجع نفسه، ص 449.

³ المرجع نفسه، ص 450.

الخطأ ، كما ركز ابن خلدون على فكرة التدرج في تقديم المعلومات للمتعلم أي القيام بالعملية التعليمية على مراحل تدريجية تبدأ من الأسهل الى الأصعب و أنه لا ينبغي تقديم معارف و معلومات معقدة دفعة واحدة بل وجب تبسيطها وتقسيمها على مراحل و فترات زمنية مختلفة ، بحيث أن المعرفة تبنى بالتدرج ، و ذلك بغاية الوصول الى مرحلة ترسخ الملكة ، حيث يقول : « شيئاً فشيئاً على التدرج حتى تكمل و لا يحصل ذلك دفعة واحدة¹ » ، كما أن تقديم المادة التعليمية دفعة واحدة قد يجعل المتعلم يشعر بصعوبة العملية التعليمية ما يسبب نقصاً في الاستيعاب وإدراك المتعلم للمادة التي يقوم المعلم بشرحها ، فيقول : « اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدرج² » و إضافة الى ذلك يرى أنه يجب أن يقدم للمتعلم أولاً مسائل من كل باب من الفن ، وضرورة المراجعة كما تسمى في وقتنا الحالي أي إعادة ما سبق من الدروس قبل الشروع في درس جديد و محاولة إعادة الشرح أي جزء مبهم منه بهدف مساعدة المتعلم على استرجاع المكتسبات القبلية والوصول عن طريقها إلى مكتسبات جديدة ، كما ركز على فكرة التكرار ثلاثة مرات بحيث يقول : « .. و هو كما رأيت يحصل في ثلاث تكرارات و قد يحصل للبعض في أقل من ذلك بحسب ما يخلق له³ » أي أنه يمكن أن يستوعب المتعلم المادة التعليمية قبل تكرارها ثلاث مرات و هنا إشارة إلى الاعتناء بالفروق الفردية في الاستيعاب و القدرات و المهارات التي تختلف من شخص الى آخر ، كما تحدث أيضاً عن فكرة أخرى وهي عدم إشغال المتعلم بعلمين في وقت واحد بحيث يرى أنه على المعلم تجنب عرض تعلمات مختلفة على المتعلمين في آن ، حيث يقول «... و لا يخلط مسائل الكتاب بغيرها حتى يعيه من أوله الى آخره⁴ » ذلك لأنه يفوق قدرة استيعابهم وما قد يتسبب في فشلهم الدراسي و هو يدعو الى التفرغ لكل علم على

¹ المرجع نفسه، ص317.

² المرجع نفسه، ص443.

³ المرجع نفسه، ص444.

⁴ المرجع نفسه، ص444.

حتى بحيث يأخذ المتعلم وقته في أخذ هذا العلم و تعلمه ليصل الى فهمه و إتقانه ثم ينتقل الى علم آخر ،كون الملكة تقتضي الإدراك الذي يحتاج بدوره الى تركيز كبير و توجيه كل القدرات لأجل تحقيقه.

2. انتقادات ابن خلدون لطرق التدريس في عصره:

لقد وجه ابن خلدون مجموعة من الانتقادات لطرق التدريس في عصره ذلك حسب ما راه غير مناسب للقيام بالعملية التعليمية و أنه يؤثر في اكتساب المتعلم و استيعابه و يمكن تلخيصها فيما يلي :

أكد ابن خلدون على أن التدريس في زمانه كان مبني على الحفظ و التلقين -حسب ما ذكرناه سابقا -، بينما أهمل جانبي الفهم و التحليل ، بحيث أن الملحق كان يطالب المتعلم بحفظ دون التأكيد على الفهم ، إضافة الى ذلك نبه الى أن الملحقين كانوا يشرعون في العملية التعليمية بعلوم صعبة و معقدة بدل البدء بالسهل والبسيط مما يتعب المتعلم و يفقده التركيز ، إضافة الى تركيزهم على كثرة العلوم مما يوقع في الخلط بينها دون مراعاة مدى استيعاب المتعلمين لهذه العلوم ، كذلك انتقد طريقة تعامل المعلمين مع المتعلم ، ذلك من خلال استخدامهم طرق عنيفة في العقاب والشدة وسوء المعاملة، والذي قد ينجر عنه الكسل وفقدانه شغف التعلم وصولا إلى التسرب ،إضافة الى انتقاده كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم بحيث يرى أنها مخلة بالتعليم حيث يذكر في مقدمته : «ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار المناهج في العلوم، وعشقوها، ودونوا خلاصة لها في كل علم تتضمن حصر مسائله وأدلتها، وذلك بتلخيص ألفاظه، وحشو بعضها بمعانٍ كثيرة من ذلك الفن، فأصبح ذلك عيباً في البلاغة، وصعوبة في الفهم¹» ذلك أن بعض العلوم تحتاج إلى الإطالة والتكرار، لما فيها من مفاهيم ومعانٍ معقدة، يصعب فهمها لا سيما على صغار المتعلمين، لعدم الاستعداد والقدرة على فهم الاختصارات، يقول «.... فساد في التعليم و فيه إحلال

¹ المرجع نفسه، ص443.

بالتحصيل ذلك لان فيه تخطيطاً¹ وأشار إلى أن بعض المتعلمين يقضون أعمارهم في اكتساب علم لا ينفعهم في الدنيا ولا في معيشتهم، بينما يرى أن للمعرفة وظيفة اجتماعية وعمرانية.

3. التطبيقات العلمية لمفهوم التدرج و الملكة في التعليم المعاصر :

قبل ظهور المنهج القائم على الكفاءة، اعتمدت معظم النظم التعليمية في العالم على أسلوب التدريس بالأهداف، واعتمدت عملية التعليم والتعلم على مبادئ السلوكية، التي ركزت بشكل أساسي على سلوكيات المتعلم القابلة للقياس والملاحظة، ووفقاً لهذا المنهج، اعتبر السلوكيون التعلم تطوراً لسلوك متوافق مع البيئة من خلال المثيرات المدركة بالحواس، « ولقد ارتبط هذا الاتجاه نظرياً بأعمال "بافلوف"، "سكينر"، "والموسن"، حيث كانوا يحصرّون عملية التعلم في مبدأ مثير استجابة بهدف تعديل سلوك المتعلم²». عرفت الجزائر منذ عامي 2003 و2004، تحولاً تدريجياً من التعليم التقليدي القائم على الأهداف إلى نهج قائم على الكفاءة، يُركز على تمكين المتعلمين من تطبيق معارفهم ومهاراتهم في مواقف حياتية واقعية، ويعتمد هذا النموذج على التقييم التكويني المستمر، مع اعتبار الكفاءة المكتسبة معياراً للانتقال إلى مراحل تعليمية جديدة عملياً، ويشير معمر الدين عبد القادر على أن: «يستحوذ مصطلح المقاربة بالكفاءات على ما يزيد عن مائة تعريف، وقد خصص عدد كبير من الباحثين حقبة من الزمن لبناء المفهوم الذي تغيرت وتعددت دلالاته بحسب المنطلقات التي صدر منها، بالنسبة للبعض منهم يستعمل مصطلح كفاءة للتعبير عن قدرة الفرد على التصرف بتوازن أمام وضعية مشكلة ما³»، أصبح المعلمون مرشدين وميسرين بدلاً من ناقلي معلومات، يعملون على تنظيم مواقف تعليمية تُمكن الطلاب من دمج كفاءاتهم بفعالية،

¹المقدمة لابن خلدون، المرجع نفسه، ص 443.

²لامية خضراوي، المقاربة بالكفاءات من مستجدات الإصلاح التربوي بالجزائر، مجلة التربية و الصحة النفسية، جامعة الجزائر، المجلد 9، العدد الثاني، 111.

³ معمر الدين عبد القادر، أهمية التكوين في أجراة المقاربة بالكفاءات، المجلد 03، العدد 07، جويلية 2015، 147.

تُعزز المناهج الجزائرية مفهوم الكفاءة، باعتباره القدرة على حل المشكلات المعقدة واتخاذ القرارات بناءً على معارف ومهارات متكاملة، وأصبح التدريب المستمر للمعلمين ضرورياً لضمان فعالية هذا التحول، ويدل مفهوم التدرج في المنهاج الجزائري على تنظيم المحتوى التعليمي بطريقة تتناسب مع مستويات نمو المتعلمين المختلفة، حيث يتم تقديم المعرفة والمهارات بشكل تدريجي يتماشى مع تطور قدرات الطلاب و كما يشير مخلوفي سيد علي « هو تسلسل تدريجي للتعليمات من خلال مراحل متعاقبة و فقا لتطور التعلم يأخذ في الحسبان الايقاعات التعليمية و الصعوبات التي تواجه المتعلم و التقدم الذي يحرزه العامل الأول فيه : التعلم لا الزمن و هو منطق تعليمي للتقدم¹»، يتضمن هذا التدرج عدة جوانب، منها التدرج العمري الذي يراعي الفروق الفردية بين الطلاب في المراحل التعليمية المختلفة، والتدرج المعرفي الذي يبدأ بمفاهيم بسيطة قبل الانتقال إلى مفاهيم أكثر تعقيداً، كما يركز التدرج المهاري على تطوير المهارات الحركية والمعرفية بشكل تدريجي، مما يسهل على الطلاب اكتساب المهارات الجديدة دون الشعور بالإرهاق، والوصول إلى بناء الكفاءات المختلفة ، كفاءات عرضية بين المواد، كفاءات ختامية مرتبطة بالميادين في المادة الواحدة ، بالإضافة إلى ذلك، يتضمن التدرج في المحتوى تنظيم المواضيع بشكل متسلسل، مما يسهل الفهم والتطبيق. إن أهمية التدرج تكمن في تحفيز التعلم وتحقيق الأهداف التعليمية، حيث يساهم في ضمان أن كل مرحلة تبني على ما تم تعلمه سابقاً وتلبي احتياجات المتعلمين ، مصطلح "تدرج" في المنهاج الجزائري يُستخدم للإشارة إلى الطريقة التي يتم بها تنظيم المحتوى التعليمي بشكل يتناسب مع مراحل نمو المتعلمين وقدراتهم المختلفة.

¹ مخلوفي سيد علي ، التدرج في التعليمات كأداة للتعديل البيداغوجي المنعقد بثنائية 20 أوت 56 تيزي وزو 2016/2017، ص2.

4. نظرية ابن خلدون التعليمية في ضوء نظريات التعلم الحديثة:

• نظرية التعلم بالملاحظة الاجتماعية:

تعتبر نظرية التعلم بالملاحظة واحدة من النظريات التي تبنتها بعض المناهج التعليمية وبنيت على أساسها وهي تعتمد على ملاحظة نموذج والعمل على الاقتداء به ، و ذلك من خلال تعزيز المحاكاة، «يتطلب الاستقادة من نظرية روتر للتعلم الاجتماعي تهيئة بيئة تعليمية مرنة تستجيب لتوقعات المتعلمين ، يجب أن يكون هناك رابط بين السلوك ومعززاته، سواء أكانت إيجابية أم سلبية، علاوة على ذلك، يجب أن يستند موقف التعلم إلى احتياجات المتعلم وأهدافه ، يجب أن تُحفّز بيئة التعلم هذه الاحتياجات والأساليب اللازمة لإشباعها، وأن تدعم الأنماط السلوكية المرغوبة لدى المتعلمين بتعزيزات مناسبة ، هذا سيمكّنهم من تطوير ضبطهم الداخلي¹» أي انها مبنية على ملاحظة المتعلم لسلوك ما ثم محاكاته ، إذ يعتقد أن ذلك يسهل العملية التعليمية داخل القسم من خلال تقديم أمثلة من طرف المعلم أو الأمثلة التوضيحية التي نجدها في الكتب الدراسية ، ومن خلالها ينتقي المعلم السلوك المعزز و المحفز والذي يكون بصفة تلقائية دون إخبار المتعلمين بذلك ، ويمكن القول أنه هناك ثلاث عوامل تؤثر في «عملية الاقتداء والمحاكاة ، أولا خصائص القدوة ، ثم صفات الملاحظ ، وأخيرا آثار المكافآت المرتبطة بالسلوك أو نتائج المكافآت المرتبة بالسلوك²» يعني هذا أنه مراعاة الخصائص المشابهة للمتعلم و المقتدى به على مستوى الجنس و العمر إضافة الى صفات شخصية المتعلم وأن النتائج المرتبطة بالسلوك تؤثر على مدى فعالية المحاكاة .

¹ مطروني فيصل و بوعمامة نوال ، نظرية التعلم الاجتماعي عند جوليان و ألبرت باندورا ، جامعة أبو قاسم سعد الله الجزائر 02، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية ، المجلد 12 ، العدد 03 ، 2024 ، ص08.

² كفاح يحي صالح العسكري و آخرون ، نظريات التعلم و تطبيقاتها التربوية ، تموزه طباعة و نشر و التوزيع ، الطبعة الأولى ، دمشق ، 2012، ص228.

• النظرية البنائية :

تُعد النظرية البنائية من أكثر المناهج التربوية اعتمادا بين المهتمين بالتعليم في العصر الحديث ، فهي تتشابه و النظرية المعرفية في العديد من النقاط، إلا أنها تختلف عنها كونها تركز على تطبيق التعلم من خلال السياق الواقعي، إضافة إلى تركيزها على أهمية البعد الاجتماعي في تحقيق التعلم ، ومن أهم المبادئ التي بنيت عليها هذه النظرية ، نجد أولا «أن التعلم لا ينفصل عن التطور النمائي للعلاقة بين الذات والموضوع¹» يعني ذلك أن التعلم مرتبط بتفاعل الذات مع الموضوع، لا باكتساب المعرفة عنه، بحيث أنه يربط مفهوم العناصر والأشياء ببعضها من خلال الجمع بين المشتركات والأفعال المتضمنة فيه ، كذلك أن «المعرفة لا تُستقبل بجمود و لكنها تستقبل بفعالية و إدراك الموضوع بمعنى أن الأفكار والحقائق لا توضع بين يدي الطلبة وعليهم بناء مفاهيمهم²» ، أي أن المعرفة ليست حقائق جاهزة تُقدم للطلاب كما هي ، بدلا من ذلك، يُطلب من المتعلم بناء فهمهم ومفاهيمهم الخاصة من خلال التأمل والتحليل وربط المعلومات وهذا يتمشى مع التوجهات التعليمية الحديثة التي تشجع التعلم النشط، حيث يكون المتعلم بادئا ومشاركًا في بناء معرفته الخاصة، بدلا من أن يكون متلقيا سلبيا ، أيضا فعل المعرفة « تكيفي من خلال تنظيم العالم التجريبي و أننا لا نجد الحقيقة و لكننا نبني تفسيرات لخبراتنا ،... و أن معرفة المتعلم السابقة هي محور الارتكاز في عملية التعلم وذلك كون المتعلم يبني معرفته في ضوء خبراته السابقة ،... و أن المتعلم لا يبني معرفته بمعزل عن الآخرين بل بينهما من خلال التفاوض الاجتماعي معهم ... و أن التعلم يحدث على أفضل وجه عندما يواجه الفرد المتعلم مشكلة أو موقفا أو مهمة حقيقة واقعية³» يعني ذلك أن التعلم عملية نشطة يبني

¹ محمودي عبد الكريم و محفوظ سارة ، أبعاد النظرية البنائية في العملية التعليمية، جامعة تيزي وزو ، البويرة ، الجزائر ، مجلة المري ، العدد 23، 2020، ص 58.

² المرجع نفسه ، ص 59.

³ المرجع نفسه ، ص 60.

فيها المتعلم معارفه من خلال تنظيم تجاربه الخاصة وتفسيرها ، المعرفة ليست مجرد حقائق ، بل هي مبنية على التجارب السابقة ، التي تُعدّ حجر الزاوية في عملية التعلم ، إضافة الى انه يتعلم الأفراد بشكل أفضل عندما يواجهون مواقف أو مشكلات واقعية تُحفّز تفكيرهم وتدفعهم إلى الاستكشاف والفهم ، لا يحدث التعلم بمعزل عن الآخرين ، بل يتشكل من خلال التفاعل والتواصل الاجتماعي معهم ، يتكيف المتعلم مع العالم من حوله ، مُعيدًا تنظيم معارفه وفقًا لتجاربه ، وهكذا ، يصبح التعلم عملية هادفة مرتبطة بواقع المتعلم وسياقه الشخصي والاجتماعي.

كذلك نجد من مبادئها أن «عملية التعلم تتمركز حول مفاهيم أساسية ،... و أن السعي لمعرفة وجهات نظر المتعلمين وتقديرها لأن ذلك ضروري في التربية البنائية ،... و أن تقييم تعلم المتعلمين في سياق التدريس أمر أساسي ذلك من خلال طرح الأسئلة¹» يقصد به أنه تركز عملية التعلم في التعليم البنائي على مفاهيم أساسية تضع المتعلم في صميم العملية التعليمية ، ومن أهم هذه المفاهيم ضرورة فهم وتقدير وجهات نظر المتعلمين ، فكل متعلم له أسلوبه الخاص في التفكير وبناء المعرفة ، ويُعد استكشاف طريقة تفكير المتعلم جزءًا أساسيًا من دور المعلم ، إذ يُمكنه من توجيه عملية التعلم بما يتناسب مع احتياجاته وخبراته السابقة ، و علاوة على ذلك ، يجب أن يتم تقييم التعلم ضمن سياق التدريس نفسه ، أي خلال التفاعل الصفّي ، وليس كاختبارات معزولة ، ويتحقق ذلك من خلال طرح أسئلة مفتوحة ومناقشات تكشف عن عمق فهم المتعلم وتمكّنه من التعبير عن أفكاره ، لذا ، تُصبح الملاحظة والحوار والتفاعل أدوات تقييم أساسية في هذا النهج ، إضافة الى ذلك «تهدف البنائية الى بناء المعارف الجديدة على الخبرات و المعارف السابقة للمتعلم ، أي أنه لا بد من بناء جسور بين المعارف و المتعلمين السابقين و المعارف الجديدة ، أيضا أن ينم تشجيع المتعلمين على استراتيجيات متنوعة لحل المشكلات قبل الوصول الى الإجابة أو

¹محمودي عبد الكريم و محفوظ سارة ، المرجع نفسه ، ص 61.

الخاتمة¹ «أي أن البنائية تهدف إلى تمكين المتعلمين من بناء معارف جديدة بناءً على معارفهم وخبراتهم السابقة ، يتطلب ذلك بناء جسور معرفية تربط معارف المتعلم السابقة بالمفاهيم الجديدة ، و أنه لا يحدث التعلم من فراغ، بل يُبنى تدريجياً بناءً على فهم المتعلم نفسه، كما تشجع البنائية على استخدام استراتيجيات متنوعة لحل المشكلات، مع التركيز ليس فقط على الوصول إلى إجابة نهائية، بل أيضاً على التفكير والمنهج المستخدم للوصول إليها.

• النظرية السلوكية:

ظهرت النظرية السلوكية في علم النفس بادئ الأمر، ولكون مفاهيمها تتميز بالديناميكية، جعل العديد من التخصصات تتبنى مبادئها وذلك من خلال تكييفها وجعلها مناسبة، ففي التربية والتعليم عمل التربويون على الانتقال من الجانب النظري إلى الميدان العملي وترجمة النظرية كتطبيقات تربوية وممارسات مدرسية وذلك من خلال ما سمي بالتدريس بالأهداف و الأفعال الظاهرة القابلة للملاحظة والقياس ويمكن تلخيص مضمونها كما يلي: «الأهداف التعليمية ، الاشرط كعملية مرتبطة بالمشير والاستجابة ، التعلم عن طريق المحاولة والخطأ ، التعزيز الإيجابي أو السلبي تبعاً للسلوك الملاحظ²» يعني هذا أن النظرية السلوكية تقوم على فكرة أن التعلم هو تغير في السلوك الظاهر والملموس، ناتج عن تفاعل المتعلم مع البيئة من خلال المثيرات والاستجابة ، بحيث يبدأ المعلم بوضع أهداف تعليمية، أي صياغتها كسلوكيات قابلة للملاحظة والقياس. تعتمد النظرية أيضاً على الاشرط الكلاسيكي مثل تجارب بافلوف ، حيث يرتبط مثير محدد باستجابة لدى المتعلم، بالإضافة إلى الاشرط الإجرائي لسيكنر، الذي يربط سلوك المتعلم بعواقبه، مثل التعزيز أو العقاب، مما يعززه أو يضعفه تدريجياً، ومن الطرق المهمة التعلم بالتجربة والخطأ، حيث يصل المتعلم إلى

¹المرجع نفسه، ص 62.

² محمد راهم و الأمين ملاوي ، أثر نظريتي التعلم السلوكية و البنائية في المقاربة بالأهداف و المقاربة بالكفاءات ، مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة الجزائر ، 2021/06/30، ص294.

السلوك الصحيح بعد عدة محاولات، تُستخدم التعزيزات الإيجابية، مثل الثناء أو المكافآت، لتقوية السلوك المرغوب، بينما تُستخدم التعزيزات السلبية لإزالة العوامل المزعجة بعد ظهور السلوك الصحيح، مما يعزز استمراره. من خلال هذه الآليات، يُنشئ المعلم بيئة تعليمية منظمة، تُحدد سلوكيات واضحة يتفاعل معها الطالب بالتجربة والخطأ، ويُعززها بناءً على استجاباته، وهكذا، تُصبح عملية التعلم قابلة للقياس والتحكم، ومرتبطة بنتائج عملية ملموسة.

يمكن اعتبار نظرية ابن خلدون في التعليم من أكثر النظريات التربوية تطوراً وعمقاً في تراثنا الإسلامي، حيث عرض من خلال مؤلفاته رؤية متكاملة للعملية التعليمية تتميز بالواقعية والمرونة معاً. تقوم نظريته على مفهوم "الملكة" كهدف نهائي للتعلم، وهي عادة ذهنية راسخة تُكتسب عبر ثلاث مراحل متدرجة: الإعداد الذي يبني الأسس، والتوسع الذي يطور الفهم، والترسيخ الذي يثبت المعرفة. وقد ركز على التكرار التدريجي المدروس مع مراعاة القدرات الفردية للمتعلمين، والانتقال المنطقي من البسيط إلى المعقد، مما يضمن بناء معرفة متماسكة ومستمرة، في المقابل ذلك، تتنوع النظريات التربوية الحديثة والمعاصرة في مقارباتها وأهدافها. فالنظرية السلوكية تختزل التعلم في تغيير السلوك الظاهري قابل للقياس من خلال الإشراف الكلاسيكي أو الإجرائي، معتمدة على التعزيز الإيجابي أو السلبي كآلية للتحكم في السلوك وترسيخه. أما نظرية التعلم الاجتماعي فتؤكد على اكتساب السلوكيات والنماذج عبر ملاحظة الآخرين دون الحاجة للخبرة المباشرة، من خلال عمليات الانتباه والاحتفاظ والتطبيق والتحفيز. لتأتي البنائية وتربط المعرفة بالعقل وعملياته التي تتطور باستمرار بحسب المراحل العمرية من خلال التفاعل النشط مع الخبرة، مؤكدة على أهمية أن تكون في السياق الاجتماعي والمعرفي حيث يُعيد المتعلم تنظيم معرفته عبر التأمل والمشاركة الاجتماعية.

وتكمن عبقرية ابن خلدون في تبنيه موقفاً واقعياً يركز على الإنسان ويعتمد على الفهم والاستيعاب والملكات العقلية، وهو ما يتقاطع جزئياً مع البنائية رغم أنه سبق كل هذه

النظريات بقرون وهذا ما يعتبر كنقطة تفوق تحسب له، فهو يرفض التعلم بالإكراه والحفظ الأصم، ويطالب بمعرفة مفهومة تناسب طبيعة المتعلم وقدراته. هذا الاتجاه يختلف تماما عن النظرية السلوكية التي تعتمد على الأساليب الجامدة والمكافآت الفورية مع إهمال البعد العقلي الداخلي. كما يتميز عن نظرية التعلم الاجتماعي التي تظهر كنظرية وسيطة تولد نماذج سلوكية من خلال القدوة دون شرط التجربة المباشرة ، والأهم من ذلك أن ابن خلدون أدرك أن التعلم الحقيقي يحدث عندما ينتقل المتعلم من التقليد إلى بناء استقلالية الذات، وهو ما تؤكدُه البنائية الحديثة عندما تجعل المتعلم المصدر النشط للمعرفة ، لكن ابن خلدون تفوق على النظريات المعاصرة في تقديم رؤية متوازنة تجمع بين احترام القدرات الفردية والاعتراف بأهمية التوجيه والإرشاد ، وبهذا تبقى نظرية ابن خلدون، رغم قدمها التاريخي، نظرية متقدمة ومتكاملة تستحق الدراسة والتطبيق في المجالات التعليمية المعاصرة.

الخاتمة:

أظهرت دراسة منهج ابن خلدون في التعلم والاكتساب رؤية تربوية متكاملة تجمع بين المفاهيم الفلسفية والواقعية في إمكانية التطبيق، مما يجعله نموذجاً قابلاً للأجراء في المجال التربوي.

يبرز مفكرنا الفذ أهمية التدرج في اكتساب المعرفة، مشدداً على ضرورة التكرار المدروس الواعي والممارسة الدقيقة لتحويل المعرفة إلى ملكات عقلية راسخة ، ويُعد هذا التوجه اللبنة الأولى في بناء شخصية المتعلم، إذ يُمكنه من استيعاب المعلومات بشكل فعال، مما يسهل عليه تطبيقها وممارستها في الحياة اليومية ، وعبر ربط العملية التعليمية بالسياق الاجتماعي والحضاري، وهو بذلك سلط الضوء على أهمية التربية كأساس لبناء مجتمعات منتجة ومتماسكة ، التعليم ليس مجرد عملية نقل معلومات، بل عملية تفاعلية تتطلب مشاركة فعالة من المتعلمين، مما يعكس أهمية البيئة التعليمية ودورها في تعزيز أو تعطيل هذه العملية ،التعليم في نظره يجب أن يتلاءم و يتناسب مع القيم الثقافية والدينية للمجتمع، ليصبح أداة للتنمية الشاملة ،و على الرغم من أن منهج ابن خلدون يعود إلى عصور سابقة، إلا أنه يظل ذا صلة بالغة بالتعليم المعاصر ، ويتقاطع مع العديد من النظريات الحديثة مثل البنائية والتعلم الاجتماعي، خاصة في تركيزه على احترام الفروق الفردية وتعزيز التفكير النقدي . و يمكن القول أن تطبيق مبادئ ابن خلدون في المناهج التعليمية الحالية يمكن أن يسهم بشكل كبير في صياغة نموذج تعليمي فريد يحدث توازناً مطلوباً بين الإرث الفكري الإسلامي والمتطلبات العصرية.

التوصيات

• **بناء نظام تعليمي مرن**: الاستفادة من هذا الفكر يمكن أن تسهم في بناء نظام تعليمي مرن، يتفاعل مع المتغيرات الاجتماعية والثقافية المتسارعة، ويعزز من قدرة الأفراد على مواجهة التحديات.

• **تطوير آليات تعليمية جديدة**: التفكير في إعادة دمج منهج ابن خلدون في التعليم المعاصر ليس مجرد استعادة لمفاهيم قديمة، بل دعوة لتطوير آليات تعليمية جديدة تُعزز من قيم التعلم الذاتي والتفكير النقدي.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع:

1. ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، تحقيق ودراسة علي عبد الواحد وافي، طبعة مزيدة ومنقحة، القاهرة: نهضة مصر، 2004، ج1.
2. الجيلاني بن التوهامي مفتاح، فلسفة الانسان عند ابن خلدون، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1، لبنان، 2011.
3. ساطع الحصري، دراسات عن مقدمة ابن خلدون، الناشر مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، د.ط، سنة 2018.
4. عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، حققها و قدم لها و علق عليها عبد السلام الشدادي، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ و علم الانسان و التاريخ، وزارة الثقافة، الطبعة الأصلية بيت الفنون و العلوم و الأدب، الجزائر، 2006.
5. عبد الله شريط، الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، موفم للنشر، د.ط، الجزائر، 2008.
6. كفاح يحي صالح العسكري و آخرون، نظريات التعلم و تطبيقاتها التربوية، تموزه طباعة و نشر و التوزيع، الطبعة الأولى، دمشق، 2012.

ثانياً: المقالات العلمية والأبحاث المنشورة في المجلات

7. بن بوهة أحمد، العلوم العقلية عند ابن خلدون، قسم العلوم الاجتماعية كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، مجلة النص، سبتمبر 2016.

8. بن عليّة عبد السلام، ملامح الفكر التعليمي عند ابن خلدون، جامعة يحي فارس المدية الجزائر، مجلة اللسانيات، المجلد 26، العدد 2، ديسمبر 2020.
9. بوهني مصطفى، رؤى ابن خلدون في طرق اكتساب الملكة اللسانية من خلال مقدمته، جامعة منتوري قسنطينة، مجلة الناص، العدد 20 ديسمبر 2016.
10. حمود سالم العليمات، نظرية ابن خلدون في الذكاء و القدرات العقلية: الأسس الاجتماعية و الثقافية، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية المجلد 2، العدد 1، 2009.
11. رقية طه جابر العلواني، منهج ابن خلدون في اصلاح العملية التعليمية كلية الآداب، جامعة البحرين، د.س.
12. زدك محمد أمين، ابن خلدون مساهمة في تطور الفكر العلمي في عصره، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية، جامعة معسكر، كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية، قسم ادب و الفلسفة، العدد 12، جوان 2014.
13. سهيلة مازة، المنهج التعليمي الاستشراقي في فكر ابن خلدون، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة.
14. شتاتحة أم الخير و بن عزوزي محمد، منهجية الشك و التمهيص عند العلامة ابن خلدون، مجلة دراسات اجتماعية المجلد، مركز البحث في العلوم الإسلامية و الحاضرة الأغواط، 05، العدد 01، 2021 .
15. طارق ثابت، الاكتساب اللغوي و قضاياها عند ابن خلدون، كلية الأدب في جامعة النجاح الوطني فلسطين، المؤتمر العلمي الدولي ابن خلدون علامة الشرق و الغرب، أكتوبر تشرين الأول 2012.

16. **عمر بوقمرة،** صناعة الملكة اللغوية في الفكر العربي القديم الأسس و الآليات، جامعة حسيبة بن بوعلي، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية المجلد 12، العدد 01، القسم ج، الآداب و الفلسفة، الشلف، 2019.
17. **فتحي حسن ملكاوي،** رؤية العالم عند عبد الرحمان ابن خلدون، مجلة أعداد الكلمة، العدد 53 السنة الثالثة عشر خريف 1427/2006 م.
18. **كريمة بوكروش،** الملكة اللسانية في الفكر العربي القديم تتظير ابن خلدون نموذجا، مجلة اللسانيات تطبيقية، المجلد 06، العدد 02، الجلفة الجزائر، 2022 .
19. **لامية خضراوي،** المقاربة بالكفاءات من مستجدات الإصلاح التربوي بالجزائر، مجلة التربية و الصحة النفسية، جامعة الجزائر 02، المجلد 9، العدد الثاني .
20. **محمودي عبد الكريم و محفوظ سارة،** أبعاد النظرية البنائية في العملية التعليمية، جامعة تيزي وزو، البويرة، الجزائر، مجلة المربي، العدد 23، 2020.
21. **مخلوفي سيد علي،** التدرج في التعليمات كأداة للتعديل البيداغوجي المنعقد بثنائية 20 أوت 56 تيزي وزو ، 2016/2017.
22. **مطروني فيصل و بوعمامة نوال،** نظرية التعلم الاجتماعي عند جوليان و ألبرت باندورا، جامعة أبو قاسم سعد الله الجزائر 02، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، المجلد 12، العدد 03، 2024.
23. **معمر الدين عبد القادر،** أهمية التكوين في أجراً المقاربة بالكفاءات، المجلد 03، العدد 07، جويلية 2015.

ثالثاً: المواقع الإلكترونية والمصادر الرقمية

26. أية عادل علي عبد الحليم، مفهوم الملكة عند ابن خلدون بين الطبع و

الصناعة، موقع الكتروني اطلع عليه يوم 2025/06/04، على الساعة 10:00،

<https://democraticac.de/?p=82091>

27. عبد الرزاق بلعقروز، ابن خلدون و تربية الفكر الإنساني من الصناعة الى

الطبيعة، اسلام أون لاين، اطلع عليه يوم 2025/06/03، على الساعة 15:37،

<https://islamonline.net/wp-content/uploads/pdf/islamonline-net-44953.pdf>

28. محسن بجا، منهجية التعليم في مقدمة ابن خلدون، موقع الكتروني اطلع عليه

يوم 2025/06/03 على الساعة: 18:17، <https://www.aljabriabed.net>

29. المنهج الوصفي التحليلي في الأدب، موقع الكتروني اطلع عليه يوم

2025/08/03، على الساعة 23:50، <https://www.bts-academy.com>

فهرس المحتويات:

ملخص الدراسة باللغة العربية :	2.....
Abstract:	2.....
شكر وتقدير	3.....
إهداء	5.....
إهداء	6.....
مقدمة:	1.....
1. أهمية الموضوع:	2.....
2. أسباب اختيار الموضوع:	2.....
3. أهداف الموضوع:	3.....
4. المنهج المستخدم في الموضوع:	3.....
5. الدراسات السابقة:	4.....
تمهيد :	7.....
1. نشأته :	7.....
2. تعلمه:	9.....
3. شيوخه و تأثره بهم :	10.....
4. رحلاته :	11.....
5. محنته و المناصب التي تولاها ابن خلدون :	13.....
6. أعمال ابن خلدون العلمية :	17.....
خلاصة :	21.....
الفصل الأول :أسس نظرية التعلم عند ابن خلدون	22.....
تمهيد :	22.....

المبحث الأول: الرؤية الفلسفية للإنسان والمعرفة عند ابن خلدون	23
1. نظرتة للطبيعة البشرية والفطرة:	23
2. العقل والنفس في فكر ابن خلدون:	26
3. نظرتة للمعرفة وطرق تحصيلها :	29
المبحث الثاني: مصادر المعرفة عند ابن خلدون	30
1. الحواس و التجربة :	30
2. العقل و التفكير :	31
3. النقل و التراث :	32
المبحث الثالث: مفهوم الملكة عند ابن خلدون وأهميتها في التعليم	33
1. تعريف الملكة:	33
2. آليات تكوين الملكات:	36
خلاصة :	43
الفصل الثاني: نظرية الاكتساب والتعلم عند ابن خلدون	44
تمهيد :	44
المبحث الأول : قواعد التعلم عند ابن خلدون و العوامل المؤثرة فيه	44
1. حقيقة التعلم عند ابن خلدون :	44
2. القواعد التربوية و التعليمية عند ابن خلدون :	46
3. العوامل المؤثرة في التعلم عند ابن خلدون :	53
المبحث الثاني : طرق و مراحل التعلم عند ابن خلدون	55
1. طرق التعلم عند ابن خلدون:	55
التعلم بالتقليد و المحاكاة :	55
التعلم بالممارسة و الخبرة :	56

57	التعلم بالحوار و المناقشة :
59	التعلم بالاستقراء و الاستنباط :
61	2. مراحل النمو العقلي و النفسي :
62	المراحل التعليمية وتدرجها :
64	المبحث الثالث : نظرية الاكتساب عند ابن خلدون
64	1. مفهوم الاكتساب عند ابن خلدون
66	2. نظرية ابن خلدون في الاكتساب:
69	3. الفرق بين الاكتساب و التعلم عند ابن خلدون :
71	4. العلاقة التكاملية بين التعلم و الاكتساب :
72	المبحث الرابع: نظرية ابن خلدون التعليمية في ضوء النظريات المعاصرة
72	1. طرق التدريس والمنهجية التعليمية المقترحة من طرف ابن خلدون:
76	2. انتقادات ابن خلدون لطرق التدريس في عصره:
77	3. التطبيقات العلمية لمفهوم التدرج و الملكة في التعليم المعاصر :
79	4. نظرية ابن خلدون التعليمية في ضوء نظريات التعلم الحديثة:
79	نظرية التعلم بالملاحظة الاجتماعية:
80	النظرية البنائية : ..
82	النظرية السلوكية:
85	الخاتمة:
86	التوصيات
87	قائمة المصادر والمراجع
91	فهرس المحتويات:

ملخص الدراسة باللغة العربية :

يُعد عبد الرحمن بن خلدون من أبرز المفكرين في الحضارة الإسلامية، ويعتبر من مؤسسي علم الاجتماع الحديث. نشأ في بيئة علمية بتونس، وتتنقل بين بلدان المغرب والأندلس ومصر، وترك أثرًا فكريًا كبيرًا بكتابه "المقدمة"، حيث قدم فيه رؤية تحليلية متقدمة في التاريخ والتربية وعلم الاجتماع. رأى ابن خلدون أن الإنسان كائن مركب من جسد وروح، والعقل عنده يتطور عبر ثلاث مراحل: العقل التمييزي، والعقل التجريبي، والعقل النظري المجرد، مؤكدًا أن للعقل حدودًا لا تتجاوزها خاصة في الأمور الغيبية، ومن أبرز مفاهيمه التربوية "الملكة"، وهي القدرة الراسخة التي تُكتسب بالممارسة والتكرار، وليست مجرد فهم سطحي للعلوم. وقد شدد على أهمية التدرج في التعليم، والاعتماد على المحاكاة والخبرة والحوار، مع مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين. فرّق ابن خلدون بين التعلم النظري والاكْتِسَاب العملي، معتبرًا أن المعرفة لا تترسخ إلا بالممارسة، كما وجّه انتقادات حادة لأساليب التعليم في عصره، مثل الحفظ دون فهم، وتعقيد المواد، والإكراه في التعليم، وتبدو نظريته التربوية متقدمة على زمنها، إذ تتقاطع مع بعض النظريات المعاصرة مثل البنائية والتعلم الاجتماعي، وتتميز برؤية شاملة ومتوازنة في فهم العملية التعليمية.

الكلمات المفتاحية: عبد الرحمن بن خلدون - الحضارة الإسلامية - العقل التمييزي - العقل التجريبي.

Abstract:

Abd al-Rahman Ibn Khaldun is one of the most prominent thinkers of Islamic civilization and is considered one of the founders of modern sociology. He grew up in a scholarly environment in Tunisia and traveled between the Maghreb, Andalusia, and Egypt. He left a significant intellectual impact with his book "The Muqaddimah," in which he presented advanced analytical insights into history, education, and sociology. Ibn Khaldun viewed human beings as beings composed of body and soul, and that the mind develops through three stages: the discriminating mind, the experimental mind, and the abstract theoretical mind. He emphasized that the mind has limits that it cannot exceed, especially in matters of the unseen. One of his most prominent educational concepts is "the faculty," a deeply rooted ability acquired through practice and repetition, rather than merely a superficial understanding of the sciences. He emphasized the importance of gradual learning, relying on imitation, experience, and dialogue, while taking into account individual differences among learners. Ibn Khaldun distinguished between theoretical learning and practical acquisition, believing that knowledge is only consolidated through practice. He also sharply criticized the teaching methods of his time, such as memorization without understanding, the complexity of material, and coercion in education. His educational theory appears ahead of its time, intersecting with some contemporary theories such as constructivism and social learning, and featuring a comprehensive and balanced vision for understanding the educational process.

Keywords: Abd al-Rahman Ibn Khaldun - Islamic civilization - discriminating mind - experimental mind.